شرح
أسماء الله الحسنى

للعلامة

عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي

رحمه الله تعالى

إعداد

محمد شومان الرملي

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد، فهذا شرح الأسماء الحسنى(١) للإمام عبد الرحمن بن ناصر ابن سعدي علّامة القصيم رحمه الله تعالى (ت ١٣٧٦هـ)، أقدمه لإخواني المهتمين بهذا العلم الشريف، المحبين لهذا الإمام الجليل.

وقد جمعته من كتبه الكثيرة المنتشرة، ورتبته ونسقته، وأثبت فيه كلامه بدقة.

فإذا كان الاسم مشروحًا في أكثر من موضع نقلت الموضع الأكمل إن أمكن، وإلا نقلت كلامه في الموضعين، ولم أدمج ما فيهما أو أحاول أن أصله

---

(١) وأقصد بالأسماء ـ هنا ـ الأسماء المفردة، مثل: (الله. الرحمن. الرحيم. الملك . القدوس...) إلخ، فهذه التي قمت بجمع شرحها لعلامتنا، فإنها هي المقصودة في حديث: «إِنَّ لِلَّـهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، إِنَّهُ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ»، ولا أقصد الأسماء المضافة، مثل: (ذي الجلال والإكرام. بديع السموات والأرض. عالم الغيب والشهادة. أو: غافر الذنب. قابل التوب)، وقد خلط في ذلك كثير ممن كتب في الأسماء الحسنى، دون تمييز أو تنبيه، فليعلم.

هذا، ولم أثبت في هذا الكتاب إلا شرح ما ثبت عندي دليله من الأسماء، إذ قد كان محتوى هذا الكتاب سيطبع مع كتابي «الطريقة المثلى في إحصاء أسماء الله الحسنى»، كالشرح له، لكن تغير الرأي بعد ورأيت أن الصواب أن يطبع وحده، فالحمد لله.

بعضه ببعض، أو أتكلف تركيبه، كما يفعل ـ للأسف ـ بعض نقلة النصوص، فيقوِّل صاحب الكلام ما لم يقله أو قاله لكن ليس بهذا الترتيب، حتى إن بعضهم يتكرم فيضيف من عنده كلمات وجملًا على النص دون أدنى تنبيه[١]!!

ومما حملني على جمع هذا الكتاب والاهتمام بنشره ـ إضافة إلى ما للشيخ ابن سعدي من القدر وما لكتاباته من مِيزة خاصة عند أهل العلم ـ أنني كلما نظرت في شرح له لاسم من أسماء الله تعالى وجدت فيه نَفَس الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى، وشعرت بأن الشيخ يكتب بيراعته، ويفسر ببراعته، والحق أقول: إنني لم أر في المتأخرين ـ في هذا الباب ـ مَنْ هو على شاكلة هذا الإمام غير العلامة ابن سعدي رحمه الله تعالى.

هذا، ولـمّا لم أعثر في كتبه على شرح كامل للأسماء الحسنى ألحقت بهذا الكتاب شرحًا لما لم أجده له، وعنونت له بـ «ملحق في تتمة شرح الأسماء الحسنى».

فجاء الكتاب بحمد الله تعالى في أحسن صورة وأبهى حلة.

سائلًا الله عز وجل أن ينفع به الكاتب والقارئ وكل مَنْ كان له يد في إخراجه للناس. آمين.

وكتب

محمد شومان

---

(١) حتى إن بعضهم يدمج في شرح الأسماء كلام ابن القيم وكلام ابن سعدي رحمهما الله تعالى ثم يعزو الشرح إلى ابن القيم!!! وهذا من أعجب ما رأيت من التلاعب بالنصوص والاستغفال للقراء!

شرح الأسماء الحسنى

(١) الله

قال الإمام ابن سعدي رحمه الله تعالى:

«الله»: هو المألوه المعبود، [ذو الألوهية، والعبودية على خلقه أجمعين]، لما اتصف به من صفات الألوهية، وهي صفات الكمال[١].

وقال: «الله»: المألوه المعبود الذي لا إله إلا هو، وذلك لكماله العظيم، وإحسانه الشامل، وتدبيره العام، وكل إله غيره فإنه باطل، لا يستحق من العبادة مثقال ذرة، لأنه فقير عاجز ناقص، لا يملك لنفسه ولا لغيره شيئًا[٢].

وقال: فإذا تدبر اسم «الله» عرف أن الله تعالى له جميع معاني الألوهية، وهي كمال الصفات والانفراد بها، وعدم الشريك في الأفعال، لأن المألوه إنما يؤله لما قام به من صفات الكمال، فيُحَبّ ويُخضع له لأجلها، والباري جل جلاله لا يفوته من صفات الكمال شيء بوجه من الوجوه.

أو يؤله أو يعبد لأجل نفعه وتوليه ونصره، فيجلب النفع لمن عبده ويدفع عنه الضرر، ومن المعلوم أنَّ الله تعالى هو المالك لذلك كله، وأنَّ أحدًا من الخلق لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعًا ولا ضرًّا ولا موتًا ولا حياة ولا

---

(١) انظر «تيسير الكريم الرحمن» (الفاتحة: ١)، و«أصول وكليات».

(٢) «تيسير الكريم الرحمن» (الحشر: ٢٢).

نشورًا.

فإذا تقرر عنده أنَّ الله وحده المألوه أوجب له أن يُعَلِّقَ بربه حبَّه وخوفَه ورجاءه، وأناب إليه في كل أموره، وقطع الالتفات إلى غيره من المخلوقين، ممن ليس له من نفسه كمال، ولا له فعال، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم[1].

(٢) (٣) الرحمن . الرحيم

قال: «الرحمن . الرحيم» اسمان دالّان على أنه تعالى ذو الرحمة الواسعة العظيمة التي وسعت كل شيء، وعمت كل حي، وكتبها للمتقين المتبعين لأنبيائه ورسله، فهؤلاء لهم الرحمة المطلقة، ومن عداهم فله نصيب منها[2].

(٤) الملك

قال: «الملك»: الذي له ملك العالم العلوي والسفلي، فالجميع مماليكه، وتحت تدبيره[3].

وقال: «الملك»: الذي الملك وصفه، والخلق كلهم مماليك له، وأحكام المِلك القدرية والشرعية نافذة فيهم[4].

(١) «المواهب الربانية» (ص ٦٢-٦٣).

(٢) «التيسير» (الفاتحة: ١).

(٣) «التيسير» (الجمعة: ١).

(٤) «التيسير» (طه: ١١٤).

(٥) (٦) القدوس . السلام

قال: هو المقدس المعظَّم المنزَّه عن كل سوء، السالم من مماثلة أحد من خلقه، ومن النقصان، ومن كل ما ينافي كماله.

فهذا ضابط ما ينزه عنه: ينزه عن كل نقص بوجه من الوجوه، وينزه ويعظم أن يكون له مثيل أو شبيه أو كفو أو سَمِيّ أو ندّ أو مضادّ، وينزه عن نقص صفة من صفاته التي هي أكمل الصفات وأعظمها وأوسعها.

ومن تمام تنزيهه عن ذلك: إثبات صفات الكبرياء والعظمة له، فإن التنزيه مرادٌ لغيره ومقصودٌ به حفظ كماله عن الظنون السيئة، كظن الجاهلية الذين يظنون به ظنَّ السَّوْء، ظنَّ غير ما يليق بجلاله.

وإذا قال العبد مثنيًا على ربه: «سبحان الله»، أو «تقدّس الله»، أو «تعالى الله»، ونحوها، كان مثنيًا عليه بالسلامة من كل نقص وإثبات كل كمال[1].

وقال: «القدوس . السلام»؛ أي: المعظَّم المنزَّه عن صفات النقص كلها، وأن يماثله أحد من الخلق، فهو المتنزِّه عن جميع العيوب، والمتنزِّه عن أن يقاربه أو يماثله أحد في شيء من الكمال، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ﴾[الشورى: ١١]، ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص: ٤]، ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ [مريم: ٦٥]، ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ [البقرة: ٢٢].

فالقدوس كالسلام، ينفيان كل نقص من جميع الوجوه، ويتضمنان

---

(١) «الحق الواضح المبين» (ص ٨١-٨٢).

الكمال المطلق من جميع الوجوه، لأن النقص إذا انتفى ثبت الكمال كله[1].

(٧) المؤمن

قال: «المؤمن»: الذي أثنى على نفسه بصفات الكمال، وبكمال الجلال والجمال، الذي أرسل رسله وأنزل كتبه بالآيات والبراهين، وصدَّق رسله بكل آية وبرهان يدل على صدقهم وصحة ما جاؤوا به[2].

وقال: أي: المصدِّق لرسله وأنبيائه بما جاؤوا به، بالآيات البينات، والبراهين القاطعات، والحجج الواضحات[3].

(٨) المهيمن

قال: «المهيمن»: المطَّلع على خفايا الأمور، وخبايا الصدور، الذي أحاط بكل شيء علمًا[4].

(٩) العزيز

قال: «العزيز»: [الذي له العزة كلها]، فمعاني العزة الثلاث كلها كاملة لله العظيم:

---

(١) «أصول وكليات».

(٢) «أصول وكليات».

(٣) «التيسير» (الحشر: ٢٣).

(٤) «أصول وكليات».

عزة القوة: الدال عليها من أسمائه القوي المتين، وهي وصفه العظيم الذي لا تُنسب إليه قوة المخلوقات وإن عَظُمَتْ.

وعزة الامتناع: فإنه هو الغني بذاته فلا يحتاج إلى أحد، ولا يبلغ العباد ضره فيضرونه، ولا نفعه فينفعونه، بل هو الضارّ النافع، المعطي المانع.

وعزة القهر والغلبة لكل الكائنات[1]: فهي كلها مقهورة لله، خاضعة لعظمته، منقادة لإرادته، فجميع نواصي المخلوقات بيده، لا يتحرك منها متحرك ولا يتصرف متصرف إلا بحوله وقوته وإذنه، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا به[2].

(١٠) الجبار

قال: «الجبار»: هو بمعنى العلي الأعلى، وبمعنى القهار، وبمعنى الرؤوف الجابر للقلوب المنكسرة، وللضعيف العاجز، ولمن لاذ به ولجأ إليه[3].

وقال: للجبار من أسمائه الحسنى ثلاثة معان كلها داخلة باسمه الجبار:

فهو الذي يجبر الضعيف، وكل قلب منكسر لأجله، فيجبر الكسير، ويغني الفقير، ويُيَسِّر على المعسر كل عسير، ويجبر المصاب بتوفيقه للثبات والصبر ويعيضه على مصابه أعظم الأجر إذا قام بواجبها، ويجبر جبرًا خاصًّا

(١) ومن معاني العزة: عدم النظير، فالعزيز الذي ﴿**ليس كمثله شيء**﴾. انظر «اللسان» (عزز).

(٢) «الحق الواضح المبين» (ص ٤٤-٤٥).

(٣) «أصول وكليات».

قلوب الخاضعين لعظمته وجلاله وقلوب المحبين بما يفيض عليها من أنواع كراماته، وأصناف المعارف والأحوال الإيمانية، فقلوب المنكسرين لأجله جَبْرُها دانٍ قريب، وإذا دعا الداعي فقال: «اللهم اجبرني»، فإنه يريد هذا الجبر الذي حقيقته: إصلاح العبد ودفع جميع المكاره عنه.

و**المعنى الثاني**: أنه القهار لكل شيء، الذي دان له كل شيء، وخضع له كل شيء[1].

و**المعنى الثالث**: أنه العلي على كل شيء.

فصار الجبار متضمنًا لمعنى الرؤوف القهار العلي.

وقد يراد به **معنى رابع**: وهو المتكبر عن كل سوء ونقص، وعن مماثلة أحد، وعن أن يكون له كفؤ أو ضد أو سَمِيّ أو شريك في خصائصه وحقوقه[2].

(١١) المتكبر

قال: «**المتكبر**»: الذي له الكبرياء والعظمة، المتنزه عن جميع العيوب والظلم والجَور[3].

---

(١) كما قال ابن القيم:

وله مسمًّى ثالث وهو العلوّ فليس يدنو منه من إنسانِ

من قولهم جَبَّارَةً للنخلة الـ ـعُليا التي فاتت لكل بنانِ

(٢) «الحق الواضح» (ص ٧٧).

(٣) «التيسير» (الحشر: ٢٣).

(١٢) (١٣) (١٤)
الخالق . البارئ . المصور

قال: «الخالق» لجميع المخلوقات، «البارئ» للمبروءات، «المصوِّر» للمصوَّرات.

وهذه الأسماء متعلقة بالخلق والتدبير والتقدير، وأن ذلك كله قد انفرد الله به، لم يشاركه فيه مشارك(١).

وقال: «الخالق . البارئ . المصوِّر»: الذي خلق جميع الموجودات، وبرأها وسواها بحكمته، وصورها بحمده وحكمته، وهو لم يزل ولا يزال على هذا الوصف العظيم(٢).

(١٥) الأحد

قال: أي [الذي] انحصرت فيه الأحدية، فهو الأحد المنفرد بالكمال، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات الكاملة العليا، والأفعال المقدسة، الذي لا نظير له ولا مثيل(٣).

وقال: «الأحد»: يعني الذي تفرد بكل كمال ومجد وجلال وجمال، وحمد وحكمة ورحمة، وغيرها من صفات الكمال.

---

(١) «التيسير» (الحشر: ٢٣).

(٢) «أصول وكليات».

(٣) «التيسير» (الإخلاص: ١).

فليس له فيها مثيل ولا نظير ولا مناسب بوجه من الوجوه، فهو الأحد في حياته وقيوميته، وعلمه وقدرته، وعظمته وجلاله وجماله، وحمده وحكمته ورحمته، وغيرها من صفاته، موصوف بغاية الكمال ونهايته من كل صفة من هذه الصفات[1].

ومن تحقيق أحديته وتفرده بها أنه «الصمد»...[2].

(١٦) الصمد

قال: «الصمد»: هو الذي تقصده الخلائق كلها في جميع حاجاتها وضروراتها وأحوالها، لما له من الكمال المطلق في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله[3].

وقال في شرح أبيات ابن القيم من «القصيدة النونية»:

وهو الإله السيد الصمد الذي ... صمدت إليه الخلق بالإذعانِ
الكامل الأوصاف من كل الوجو ... ه كماله ما فيه من نقصانِ

قال: هذا معنى اسمه «الصمد»، المعنى الجامع الذي يدخل فيه كل ما فُسِّر به هذا الاسم الكريم، فهو الصمد الذي تصمد إليه (أي: تقصده) جميعُ المخلوقات بالذل والحاجة والافتقار، ويفزع إليه العالم بأسره، وهو الذي قد

(١) «بهجة قلوب الأبرار» (ص ٢٩١).

(٢) وانظر الكلام على تفسير اسم «الواحد».

(٣) « أصول وكليات».

كمل في علمه وحكمته، وحلمه وقدرته، وعظمته ورحمته، وسائر أوصافه، فالصمد هو كامل الصفات، وهو الذي تقصده المخلوقات في كل الحاجات[1].

وقال: «الصمد»: أي الرب الكامل والسيد العظيم، الذي لم يبق صفة كمال إلا اتصف بها ووُصِف بغايتها وكمالها، بحيث لا تحيط الخلائق ببعض تلك الصفات بقلوبهم، ولا تعبر عنها ألسنتهم، وهو المصمود إليه المقصود في جميع الحوائج والنوائب: ﴿ يَسْأَلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴾ [الرحمن: ٢٩].

فهو الغني بذاته، وجميع الكائنات فقيرة إليه بذاتهم؛ في إيجادهم، وإعدادهم، وإمدادهم بكل ما هم محتاجون إليه من جميع الوجوه، ليس لأحد منها غنًى عنه مثقال ذرة، في كل حالة من أحوالها.

فالصمد: هو المصمود إليه المقصود في كل شيء، لكماله وكرمه وجوده وإحسانه[2].

(١٧) (١٨) العلي . الأعلى

قال: «العلي . الأعلى»: وهو الذي له العلو المطلق من جميع الوجوه، علو الذات، وعلو القدر والصفات، وعلو القهر.

فهو الذي على العرش استوى، وعلى الملك احتوى، وبجميع صفات

(١) «الحق الواضح» (ص ٧٥).

(٢) «بهجة قلوب الأبرار» (ص ٢٩١-٢٩٢).

العظمة والكبرياء والجلال والجمال وغاية الكمال اتصف وإليه فيها المنتهى[1].

وقال: فعلو الذات: هو أنه مستو على عرشه، فوق جميع خلقه، مباين لهم، وهو مع هذا مطلع على أحوالهم، مشاهد لهم، مدبر لأمورهم الظاهرة والباطنة، متكلم بأحكامه القدرية، وتدبيراته الكونية، وبأحكامه الشرعية.

وأما علو القدر: فهو أن صفاته كلها صفات كمال، وله من كل وصف ونعت أكمله وغايته.

وأما علو القهر: فهو قهره تعالى لجميع المخلوقات، فالعالم العلوي والسفلي كلهم خاضعون لعظمته، مفتقرون إليه في كل شؤونهم[2].

وقال: ...«العلي . الأعلى»، وذلك دال على أن جميع معاني العلو ثابتة لله من كل وجه:

فله علو الذات: فإنه فوق المخلوقات، وعلى العرش استوى؛ أي:. علا وارتفع.

وله علو القدر: وهو علو صفاته وعظمتها فلا يماثله صفة مخلوق، بل لا يقدر الخلائق كلهم أن يحيطوا ببعض معاني صفة واحدة من صفاته، قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، وبذلك يُعلم أنه ليس كمثله شيء في كل نعوته .

وله علو القهر: فإنه الواحد القهار الذي قهر بعزته وعلوه الخلق كلَّهم، فنواصيهم بيده، وما شاء كان لا يمانعه فيه ممانع، وما لم يشأ لم يكن، فلو اجتمع

---

(١) «أصول وكليات».

(٢) «توضيح الكافية الشافية- مطبوع ضمن المجموعة الكاملة» (ص ٣٧٧).

الخلق على إيجاد ما لم يشأْهُ الله لم يقدروا، ولو اجتمعوا على منع ما حكمت به مشيئته[1] لم يمنعوه، وذلك لكمال اقتداره، ونفوذ مشيئته، وشدة افتقار المخلوقات كلها إليه من كل وجه[2].

(١٩) الأكرم

قال في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ * ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ﴾ [العلق: ٣ - ٤]:

﴿**اقرأ وربك الأكرم**﴾: أي: كثير الصفات واسعها، كثير الكرم والإحسان، واسع الجود، الذي من كرمه أن علم أنواع العلوم.

(٢٠) (٢١) (٢٢) (٢٣)
الأول . الآخر . الظاهر . الباطن

قال: وقد فسرها النبي ﷺ تفسيرًا كاملًا واضحًا، فقال: «أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ» إلى آخر الحديث[3].

---

(١) لو قال: منعِ ما شاءه، أو: ما حكم به بمشيئته! لأن أفعاله سبحانه يُنسب فعلها إليه لا إلى مشيئته، وقريب من هذا قولهم: شاءت الأقدار، أو شاء القدر، والصواب: شاء الله تعالى.

(٢) «الحق الواضح» (ص ٢٦-٢٧).

(٣) أخرجه مسلم (٢٧١٣) وغيره، عن سهيل قال: كان أبو صالح يأمرنا إذا أراد أحدنا أن ينام: أن يضطجع على شقه الأيمن، ثم يقول: «اللَّهُمَّ رَبَّ السموات، وَرَبَّ الْأَرْضِ، وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، =

ففسر كل اسم بكل معناه، ونفى عنه كل ما يضاده [وينافيه][1]، فمهما قدّر المقدرون وفرض الفارضون من الأوقات السابقة المتسلسلة إلى غير نهاية فالله قبل ذلك، وكل وقت لاحق مهما قُدِّر وفُرِضَ فالله بعد ذلك.

ولهذا لا يستحق اسم[2] واجب الوجود إلا هو، فمن خصائصه أنه لا يكون إلا موجودًا كاملًا، فلا يشاركه في وجوب الوجود أحد، فوجوب وجوده بنعوته الكاملة في جميع الأوقات، وهو الذي أوجد الأوقات وجميع الموجودات، وكلها مستندة في وجودها وبقائها إلى الله.

فالأول والآخر يتضمنان إحاطته بجميع الأزمنة وجميع المخلوقات من كل وجه، والظاهر والباطن يقتضيان إحاطته بجميع الأمكنة وأنها تنتهي إلى الله في العلو والقرب، ولا منافاة بين الأمرين في حقه تعالى، لأنه ليس كمثله شيء في جميع نعوته، فهو العلي في دنوه، القريب في علوه[3].

وقال: فالأول: يدل على أن كل ما سواه حادث كائن بعد أنْ لم يكن، ويوجب للعبد أن يلحظ فضل ربه في كل نعمة دينية ودنيوية، إذ السبب والمسبب منه تعالى.

= رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ». وكان يروي ذلك عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ.

(١) زيادة من «الحق الواضح» (ص ٢٥).

(٢) يعني: وصف واجب الوجود.

(٣) «توضيح الكافية الشافية» (ص ٣٧٧-٣٧٨).

والآخِر: يدل على أنه هو الغاية والصمد الذي تصمد إليه المخلوقات بتألهها ورغبتها ورهبتها وجميع مطالبها.

والظاهر: يدل على عظمة صفاته، واضمحلال كل شيء عند عظمته من ذوات وصفات، وعلى علوه.

والباطن: يدل على اطلاعه على السرائر والضمائر، والخبايا والخفايا، ودقائق الأشياء، كما يدل على كمال قربه ودنوه[1].

(٢٤) (٢٥) البر . الوهاب

قال رحمه الله تعالى: من أسمائه تعالى: «البر . الوهاب . الكريم»: الذي شمل الكائنات بأسرها ببره وهباته وكرمه، فهو مُولي الجميل، ودائم الإحسان، وواسع المواهب، وصفه البَرّ، وآثار هذا الوصف جميع النعم الظاهرة والباطنة، فلا يستغني مخلوق عن إحسانه وبره طرفة عين.

وإحسانه عام وخاص: فالعام المذكور في قوله: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧]، ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[الأعراف: ١٥٦]، ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾[النحل: ٥٣]، وهذا يشترك فيه البر والفاجر، وأهل السماء وأهل الأرض، والمكلفون وغيرهم.

والخاص: رحمته ونعمه على المتقين، حيث قال: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ

---

(١) «الحق الواضح» (ص ٢٥-٢٦).

﴿ٱلۡأُمِّيَّ﴾ [الأعراف: ١٥٦-١٥٧] الآية.

وقال: ﴿إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

وفي دعاء سليمان: ﴿وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

وهذه الرحمة الخاصة التي يطلبها الأنبياء وأتباعهم تقتضي- التوفيق للإيمان والعلم والعمل، وصلاح الأحوال كلها، والسعادة الأبدية، والفلاح والنجاح، وهي المقصود الأعظم لخواص الخلق(١).

وقال: «الوهاب»: أي كثير الفضل والهبات(٢).

(٢٦) السميع

قال: أي لجميع الأصوات، باختلاف اللغات، على تفنن الحاجات، وسميع لدعاء الداعين، وخضوع المتضرعين(٣).

وقال: «السميع»: الذي أحاط سمعه بجميع المسموعات، فكل ما في العالم العلوي والسفلي من الأصوات يسمعها سرَّها وعلنها وكأنها لديه صوت واحد، لا تختلف عليه الأصوات، ولا تخفى عليه جميع اللغات، والقريب منها والبعيد والسر والعلانية عنده سواء، ﴿سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ [الرعد: ١٠].

---

(١) «الحق الواضح» (ص ٨٢-٨٣).

(٢) «التيسير» (آل عمران: ٨).

(٣) «التيسير» (البقرة: ٢٥٦).

﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴾ [المجادلة: ١].

قالت عائشة رضي الله عنها: تبارك الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادِلة تشتكي إلى رسول الله ﷺ وأنا في جانب الحجرة، وإنه ليخفى عليَّ بعضُ كلامها، فأنزل الله: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾ الآية[1].

وسمْعه تعالى نوعان: **أحدهما**: سمعه لجميع الأصوات الظاهرة والباطنة، الخفية والجلية، وإحاطته التامة بها.

الثاني: سمع الإجابة منه للسائلين والداعين والعابدين، فيجيبهم ويثيبهم، ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ [إبراهيم: ٣٩]، وقول المصلي: «سمع الله لمن حمده»؛ أي: استجاب[2].

(٢٧) البصير

قال: «البصير»: الذي أحاط بصره بجميع المبصَرات، في أقطار الأرض والسموات، حتى أخفى ما يكون فيها، فيرى دبيب النملة السوداء، على الصخرة الصماء، في الليلة الظلماء، وجميع أعضائها الباطنة والظاهرة، وسريان القوت في أعضائها الدقيقة، ويرى سريان المياه في أغصان الأشجار وعروقها، وجميع النباتات على اختلاف أنواعها وصغرها ودقتها، ويرى نياط

(١) أخرجه النسائي (٣٤٦٠)، وابن ماجه (١٨٨ و٢٠٦٣)، وغيرهما، وصححه الألباني.

(٢) «الحق الواضح» (ص ٣٤).

عروق النملة والنحلة والبعوضة، وأصغر من ذلك.

فسبحان من تحيرت العقول في عظمة وسعة متعلقات صفاته، وكمال عظمته ولطفه وخبرته بالغيب والشهادة والحاضر والغائب.

ويرى خيانات الأعين، وتقلبات الأجفان، وحركات الجَنان، قال تعالى:

﴿ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّـٰجِدِينَ * إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الشعراء: ٢١٨ – ٢٢٠].

﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾ [غافر: ١٩].

﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [البروج: ٩]؛ أي: مطلع ومحيطٌ علمه وبصره وسمعه بجميع الكائنات[1].

(٢٨) العليم

قال: «العليم»: المحيط علمه بكل شيء؛ بالواجبات والممتنعات والممكنات، فيعلم تعالى نفسه الكريمة، ونعوته المقدسة، وأوصافه العظيمة، وهي الواجبات التي لا يمكن إلا وجودها.

ويعلم الممتنعات حال امتناعها، ويعلم ما يترتب على وجودها لو وُجِدت، كما قال تعالى:

﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياء: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَـٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَـٰهٍۭ بِمَا

(١) «الحق الواضح» (ص ٣٤-٣٥).

﴿خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[المؤمنون: ٩١].

فهذا وشبهه من ذكر علمه بالممتنعات التي يعلمها، وإخباره بما ينشأ منها لو وُجِدت على وجه الفرض والتقدير.

ويعلم تعالى الممكنات، وهي التي يجوز وجودها وعدمها، ما وجد منها وما لم يوجد مما لم تقتض الحكمة إيجاده.

فهو العليم الذي أحاط علمه بالعالم العلوي والسفلي، لا يخلو عن علمه مكان ولا زمان، ويعلم الغيب والشهادة، والظواهر والبواطن، والجلي والخفي، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٥، وفي مواضع أخرى].

والنصوص في ذكر إحاطة علم الله وتفصيل دقائق معلوماته كثيرة جدًّا لا يمكن حصرها وإحصاؤها، وأنه لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، وأنه لا يغفل ولا ينسى، وأن علوم الخلائق على سعتها وتنوعها إذا نسبت إلى علم الله اضمحلت وتلاشت، كما أن قُدَرهم إذا نسبت إلى قدرة الله لم يكن لها نسبة إليها بوجه من الوجوه، فهو الذي عَلَّمهم ما لم يكونوا يعلمون وأقدرهم على ما لم يكونوا عليه قادرين.

وكما أن علمه محيط بجميع العالم العلوي والسفلي، وما فيه من المخلوقات ذواتها وأوصافها وأفعالها وجميع أمورها، فهو يعلم ما كان وما يكون في المستقبلات التي لا نهاية لها، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون، ويعلم أحوال المكلفين منذ أنشأهم، وبعد ما يميتهم وبعد ما يحييهم، قد أحاط علمه بأعمالهم كلها خيرها وشرها، وجزاء تلك الأعمال،

وتفاصيل ذلك في دار القرار[1].

قال: فينبغي للمؤمن الناصح لنفسه أن يبذل ما استطاع من مقدوره في معرفة أسماء الله، وصفاته، وتقديسه، ويجعل هذه المسألة أهم المسائل عنده، وأولاها بالإيثار، وأحقها بالتحقيق، ليفوز من الخير بأوفر نصيب، فيتدبر مثلًا اسم «العليم»: فيعلم أن العلم كله بجميع وجوهه واعتباراته لله تعالى، فيعلم تعالى الأمور المتقدمة والأمور المتأخرة أزلًا وأبدًا، ويعلم جليل الأمور وحقيرها، وصغيرها وكبيرها، ويعلم تعالى ظواهر الأشياء وبواطنها، غيبها وشهادتها، ما يعلم الخلق منها وما لا يعلمون، ويعلم تعالى الواجبات والمستحيلات[2] والجائزات، ويعلم تعالى ما تحت الأرض السفلى، كما يعلم ما فوق السموات العلى، ويعلم تعالى جزئيات الأمور وخبايا الصدور، وخفايا ما وقع ويقع في أرجاء العالم وأنحاء المملكة، فهو الذي أحاط علمه بجميع الأشياء في كل الأوقات، ولا يعرض تعالى لعلمه خفاء ولا نسيان.

ويتلو على هذا الآيات المقرِّرة له كقوله في غير موضع: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [البقرة: ٢٨٢، وفي مواضع أخرى]، ﴿عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١١٩، وفي مواضع أخرى]، ﴿يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [التغابن: ٤]، ﴿وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى﴾ [طه: ٧]، ﴿سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ [الرعد: ١٠]، ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [الحج: ٧٠]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا

(١) «الحق الواضح» (ص ٣٦-٣٨).

(٢) في الأصل المطبوع: «أو المستحيلات».

﴿ يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ * هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ٥ - ٦]، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ﴾ [لقمان: ٣٤]، ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾ [الأنعام: ٥٩]، ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَتُصۡبِحُ ٱلۡأَرۡضُ مُخۡضَرَّةًۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴾ [الحج: ٦٣]، ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ ﴾ [الجن: ٢٦ - ٢٧]، ﴿ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۚ ﴾ [سبأ: ٢، والحديد: ٤]، ﴿ وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾ [لقمان: ٢٧]، ﴿ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ [آل عمران: ١٥٣، وفي مواضع أخرى]، ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴾ [المجادلة: ٧]، ﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ ﴾ [السجدة: ١٧]، وغير ذلك من النصوص الكثيرة على هذا المعنى، فإن تدبُّر بعض ذلك يكفي المؤمن البصير معرفة بإحاطة علم الله تعالى، وكمال عظمته، وجليل قدره، وأنه الرب العظيم، المالك الكريم.

(٢٩) الحكيم

قال: «الحكيم»: وهو الذي له الحكمة العليا في خلقه وأمره، الذي أحسن كل شيء خلقه، ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠]، فلا يخلق

شيئًا عبثًا، ولا يشرع شيئًا سدًى، الذي له الحكم في الأولى والآخرة، وله الأحكام الثلاثة لا يشاركه فيها مشارك، فيحكم بين عباده، في شرعه، وفي قدره، وجزائه.

والحكمة: وضع الأشياء مواضعها، وتنزيلها منازلها[1].

وقال: «الحكيم»: الموصوف بكمال الحكمة، وبكمال الحكم بين المخلوقات، فالحكيم هو واسع العلم، والاطلاع على مبادئ الأمور وعواقبها، واسع الحمد، تام القدرة، غزير الرحمة، فهو الذي يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها اللائقة بها، في خلقه وأمره، فلا يتوجه إليه سؤال، ولا يقدح في حكمته مقال.

وحكمته نوعان:

أحدهما: الحكمة في خلقه، فإنه خلق الخلق بالحق، ومشتملًا على الحق، وكان غايته والمقصود به الحق، خلق المخلوقات كلها بأحسن نظام، ورتبها أكمل ترتيب، وأعطى كل مخلوق خلقه اللائق به، بل أعطى كل جزء من أجزاء المخلوقات وكل عضو من أعضاء الحيوانات خلقته وهيئته، فلا يَرى أحد في خلقه خللًا ولا نقصًا ولا فطورًا، فلو اجتمعت عقول الخلق من أولهم إلى آخرهم ليقترحوا مثل خلق الرحمن أو ما يقارب ما أودعه في الكائنات من الحسن والانتظام والإتقان لم يقدروا، وأنّى لهم القدرة على شيء من ذلك، وحسب العقلاء الحكماء منهم أن يعرفوا كثيرًا من حِكَمه، ويطلعوا على بعض

(١) «أصول وكليات».

ما فيها من الحسن والإتقان.

وهذا أمر معلوم قطعًا بما يُعلم من عظمته، وكمال صفاته، وتتبع حكمه في الخلق والأمر.

وقد تحدى عباده وأمرهم أن ينظروا ويكرروا النظر والتأمل: هل يجدون في خلقه خللًا أو نقصًا؟ وأنه لا بد أن ترجع الأبصار كليلة عاجزة عن الانتقاد على شيء من مخلوقاته.

النوع الثاني: الحكمة في شرعه وأمره، فإنه تعالى شرع الشرائع وأنزل الكتب وأرسل الرسل ليعرفه العباد ويعبدوه، فأي حكمة أجل من هذا؟ وأي فضل وكرم أعظم من هذا؟ فإن معرفته تعالى وعبادته وحده لا شريك له، وإخلاص العمل له وحده، وشكره، والثناء عليه، أفضل العطايا منه لعباده على الإطلاق، وأجل الفضائل لمن منَّ الله عليه بها، وأكمل سعادة وسرورًا للقلوب والأرواح، كما أنها هي السبب الوحيد للوصول إلى السعادة الأبدية، والنعيم الدائم.

فلو لم يكن في أمره وشرعه إلا هذه الحكمة العظيمة التي هي أصل الخيرات، وأكمل اللذات، ولأجلها خلقت الخليقة، وحق الجزاء، وخلقت الجنة والنار، لكانت كافية شافية.

هذا، وقد اشتمل شرعه ودينه على كل خير، فأخباره تملأ القلوب علمًا ويقينًا وإيمانًا وعقائد صحيحة، وتستقيم بها القلوب، ويزول انحرافها، وتثمر كل خُلُق جميل وعمل صالح وهدًى ورشد، وأوامره ونواهيه محتوية على غاية

الحكمة والصلاح والإصلاح للدين والدنيا، فإنه لا يأمر إلا بما مصلحته خالصة أو راجحة ولا ينهى إلا عما مضرته خالصة أو راجحة.

ومن حكمة الشرع الإسلامي أنه كما أنه هو الغاية لصلاح القلوب والأخلاق والأعمال والاستقامة على الصراط المستقيم، فهو الغاية لصلاح الدنيا، فلا تصلح أمور الدنيا صلاحًا حقيقيًّا إلا بالدين الحق الذي جاء به محمد ﷺ، وهذا مشاهد محسوس لكل عاقل، فإن أمة محمد لما كانوا قائمين بهذا الدين أصوله وفروعه وجميع ما يهدي ويرشد إليه كانت أحوالهم في غاية الاستقامة والصلاح، ولما انحرفوا عنه وتركوا كثيرًا من هداه ولم يسترشدوا بتعاليمه العالية انحرفت دنياهم كما انحرف دينهم.

وكذلك انظر إلى الأمم الأخرى التي بلغت في القوة والحضارة والمدنية مبلغًا هائلًا، ولكن لما كانت خالية من روح الدين ورحمته وعدله كان ضررها أعظم من نفعها، وشرها أكبر من خيرها، وعجز علماؤها وحكماؤها وساساتها عن تلافي الشرور الناشئة عنها، ولن يقدروا على ذلك ماداموا على حالهم، ولهذا كان من حكمته تعالى أن ما جاء به محمد ﷺ من الدين والقرآن أكبر البراهين على صدقه وصدق ما جاء به، لكونه محكمًا كاملًا لا يحصل إلا به[1].

وبالجملة، فالحكيم متعلقاته المخلوقات، والشرائع، وكلها في غاية الإحكام، فهو الحكيم في أحكامه القدرية، وأحكامه الشرعية، وأحكامه الجزائية.

---

(١) كذا هي، ولعلها: «لا يحصل الصلاح إلا به». أو هي على أصلها، والمعنى: أن تلافي الشرور (المتقدم ذكرها) لا يحصل إلا به.

والفرق بين أحكام القدر وأحكام الشرع: أن القدر متعلق بما أوجده وكوّنه وقدّره، وأنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأحكام الشرع متعلقة بما شرعه، والعبد المربوب لا يخلو منهما أو من أحدهما، فمن فعل منهم ما يحبه الله ويرضاه فقد اجتمع فيه الحكمان، ومن فعل ما يضاد ذلك فقد وُجِد فيه الحكم القدري، فإن ما فعله واقع بقضاء الله وقدره، ولم يوجد فيه الحكم الشرعي لكونه ترك ما يحبه الله ويرضاه، فالخير والشر والطاعات والمعاصي كلها متعلقة وتابعة للحكم القدري، وما يحبه الله منها هو تابع للحكم الشرعي ومتعلقه[1].

(٣٠) الحق

قال: «الحق» في ذاته وصفاته، فهو واجب الوجود، كامل الصفات والنعوت، وجوده من لوازم ذاته، ولا وجود لشيء من الأشياء إلا به، فهو الذي لم يزل ولا يزال بالجلال والجمال والكمال موصوفًا، ولم يزل ولا يزال بالإحسان معروفًا.

فقوله حق، وفعله حق، ولقاؤه حق، ورسله حق، وكتبه حق، ودينه هو الحق، وعبادته وحده لا شريك له هي الحق، وكل شيء ينسب إليه فهو حق.

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [لقمان: ٣٠].

﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾[الكهف: ٢٩].

---

(١) «الحق الواضح» (ص ٥٠-٥٤).

﴿ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ﴾[يونس: ٣٢].

﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء: ٨١][(١)].

(٣١) الغني

قال: «الغني»: الذي له الغنى التام المطلق من كل الوجوه، لكماله وكمال صفاته، التي لا يتطرق إليها نقص بوجه من الوجوه، ولا يمكن أن يكون إلا غنيًّا، فإن غناه من لوازم ذاته، كما لا يكون إلا محسنًا جوادًا بَرًّا رحيمًا كريمًا، والمخلوقات بأسرها لا تستغني عنه في حال من أحوالها، فهي مفتقرة إليه في إيجادها، وفي بقائها، وفي كل ما تحتاجه أو تضطر إليه.

ومن سعة غناه: أن خزائن السموات والأرض والرحمة بيده، وأن جوده على خلقه متواصل في جميع اللحظات والأوقات، وأن يده سحاء الليل والنهار، وخيره على الخلق مدرار.

ومن كمال غناه وكرمه: أنه يأمر عباده بدعائه، ويعدهم بإجابة دعواتهم، وإسعافهم بجميع مراداتهم، ويؤتيهم من فضله ما سألوه وما لم يسألوه.

ومن كمال غناه: أنه لو اجتمع أول الخلق وآخرهم في صعيد واحد فسألوه، فأعطى كلًّا منهم ما سأله وما بلغت أمانيه ما نقص من ملكه مثقال ذرة.

ومن كمال غناه وسعة عطاياه: ما يبسطه على أهل دار كرامته من النعيم،

(١) «أصول وكليات».

واللذات المتتابعات، والخيرات المتواصلات، مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

ومن كمال غناه: أنه لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا ولا شريكًا في الملك، ولا وليًّا من الذل.

وهو الغني الذي كمل بنعوته وأوصافه، المغني لجميع مخلوقاته(١).

وقال: «الغني . المغني»: فهو الغني بذاته، الذي له الغنى التام المطلق من جميع الوجوه والاعتبارات، لكماله وكمال صفاته، فلا يتطرق إليها نقص بوجه من الوجوه، ولا يمكن أن يكون إلا غنيًّا، لأن غناه من لوازم ذاته، كما لا يكون إلا خالقًا قادرًا رازقًا محسنًا، فلا يحتاج إلى أحد بوجه من الوجوه، فهو الغني الذي بيده خزائن السموات والأرض وخزائن الدنيا والآخرة، المغني جميع خلقه غنًى عامًّا، والمغني لخواص خلقه بما أفاض على قلوبهم من المعارف الربانية والحقائق الإيمانية(٢).

(٣٢) الحميد

قال: [هو سبحانه] حميد من وجهين:

أحدهما: أن جميع المخلوقات ناطقة بحمده، فكل حمد وقع من أهل السموات والأرض الأولين منهم والآخرين، وكل حمد يقع منهم في الدنيا

---

(١) «الحق الواضح» (ص ٤٧-٤٨).

(٢) «أصول وكليات».

والآخرة، وكل حمد لم يقع منهم بل كان مفروضًا ومقدَّرًا حيثما تسلسلت الأزمان واتصلت الأوقات، حمدًا يملأ الوجود كله العالم العلوي والسفلي، ويملأ نظير الوجود من غير عد ولا إحصاء، فإن الله تعالى مستحقه من وجوه كثيرة:

منها: أن الله هو الذي خلقهم ورزقهم، وأسدى عليهم النعم الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية، وصرف عنهم النقم والمكاره، فما بالعباد من نعمة فمن الله، ولا يدفع الشرور إلا هو، فيستحق منهم أن يحمدوه في جميع الأوقات، وأن يثنوا عليه ويشكروه بعدد اللحظات.

الوجه الثاني: أنه يحمد على ما له من الأسماء الحسنى والصفات الكاملة العليا، والمدائح والمحامد والنعوت الجليلة الجميلة، فله كل صفة كمال، وله من تلك الصفة أكملها وأعظمها، فكل صفة من صفاته يستحق عليها أكمل الحمد والثناء، فكيف بجميع الأوصاف المقدسة؟!

فله الحمد لذاته، وله الحمد لصفاته، وله الحمد لأفعاله، لأنها دائرة بين أفعال الفضل والإحسان وبين أفعال العدل والحكمة، التي يستحق عليها كمال الحمد.

وله الحمد على خلقه، وعلى شرعه، وعلى أحكامه القدرية، وأحكامه الشرعية، وأحكام الجزاء في الأولى والآخرة، وتفاصيل حمده وما يحمد عليه لا تحيط بها الأفكار ولا تحصيها الأقلام[1].

---

(١) «الحق الواضح» (ص ٣٩-٤٠).

(٣٣) المجيد

قال: «المجيد»: الذي له المجد العظيم، والمجد هو عظمة الصفات وسعتها، فكل وصف من أوصافه عظيمٌ شأنه، فهو العليم الكامل في علمه، الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء، القدير الذي لا يعجزه شيء، الحليم الكامل في حلمه، الحكيم الكامل في حكمته، إلى بقية أسمائه وصفاته[(١)].

(٣٤) الودود

قال: «الودود»: بمعنى الوادّ، وبمعنى المودود، فهو المحبوب لأنبيائه ورسله وأتباعهم محبة لا يشبهها ولا يماثلها شيء من المحابّ، كما أن محبوبهم ليس كمثله شيء في كماله، فلا يرون كمالًا لهم ولا صلاحًا ولا فلاحًا إلا بمحبة ربهم، ومحبته في قلوبهم أحلى من كل شيء وألذ من كل شيء وأقوى من كل شيء، وبقوة محبته قاموا بعبوديته الظاهرة والباطنة.

وروح العبادة هي المحبة، وهو الذي وضع هذه المحبة في قلوبهم فأحبوه، وكل من كانت محبته أكمل كانت عبوديته لله أقوى وأتم.

يحبون ربهم لذاته، ويحبونه لما قام به من صفات الكمال ونعوت الجلال والجمال، ويحبونه لما يَغْذُوهم به من نعمه الظاهرة والباطنة، وخصوصًا أكبر النعم: وهو نعمة الإسلام الخالص والإيمان الكامل.

وهو تعالى يحبهم لكمال إحسانه وسعة بِرِّه، بل حبهم لله تعالى محفوف

(١) «الحق الواضح» (ص ٣٣).

بحبين منه لهم: حب وضعه في قلوبهم فانقادوا له طوعًا، واطمأنت به قلوبهم، ثم أحبهم جزاءَ حبهم، وكمَّل لهم محبته، والفضل كله منه، والمنة لله أولًا وآخرًا، فمن تقرب منه شبرًا تقرب الله منه ذراعًا، ومن تقرب منه ذراعًا تقرب منه باعًا، ومن أتاه يمشي أتاه الله هرولة، كما نطق به الصادق المصدوق[(١)] [(٢)].

وقال: «الودود»: هو المحب المحبوب، بمعنى وادّ مودود، فهو الوادّ لأنبيائه وملائكته وعباده المؤمنين، وهو المحبوب لهم، بل لا شيء أحب إليهم منه، ولا تعادل محبة الله من أصفيائه محبة أخرى، لا في أصلها ولا في كيفيتها ولا في متعلقاتها، وهذا هو الفرض والواجب: أن تكون محبة الله في قلب العبد سابقة لكل محبة، غالبة كل محبة، ويتعين أن تكون بقية المحابّ تبعًا لها.

ومحبة الله هي روح الأعمال، وجميع العبودية الظاهرة والباطنة ناشئة عن محبة الله، ومحبة العبد لربه فضل من الله وإحسان، ليست بحول العبد ولا قوته، فهو تعالى الذي أحب عبده فجعل المحبة في قلبه، ثم لما أحبه العبد بتوفيقه جازاه الله بحب آخر.

فهذا هو الإحسان المحض على الحقيقة، إذ منه السبب ومنه المسبب، ليس المقصود منها المعاوضة، وإنما ذلك محبة منه تعالى للشاكرين من عباده ولشكرهم، فالمصلحة كلها عائدة إلى العبد.

فتبارك الذي جعل وأودع المحبة في قلوب المؤمنين، ثم لم يزل ينميها

---

(١) وهو في «صحيح البخاري» (١٣/ ٣٨٤-فتح) وفي مواضع أخرى، و«صحيح مسلم» (٢٦٧٥).

(٢) «توضيح الكافية الشافية» (ص ٣٨٤-٣٨٥).

ويقويها حتى وصلت في قلوب الأصفياء إلى حالة تتضاءل عندها جميع المحابّ، وتسليهم عن الأحباب، وتهوِّن عليهم المصائب، وتلذذ لهم مشقة الطاعة، وتثمر لهم ما يشاؤون من أصناف الكرامات، التي أعلاها محبة الله والفوز برضاه والأنس بقربه.

فمحبة العبد لربه محفوفة بمحبتين من ربه: فمحبة قبلها صار بها محبًّا لربه، ومحبة بعدها شكرًا من الله على محبته صار بها من أصفيائه المخلصين.

وأعظم سبب يكتسب به العبد محبة ربه التي هي أعظم المطالب: الإكثار من ذكره والثناء عليه، وكثرة الإنابة إليه، وقوة التوكل عليه، والتقرب إليه بالفرائض والنوافل، وتحقيق الإخلاص له في الأقوال والأفعال، ومتابعة النبي ﷺ ظاهرًا وباطنًا، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١][١].

(٣٥) الحي

قال: «الحي»: هو كامل الحياة، وذلك يتضمن جميع الصفات الذاتية لله، كالعلم والعزة والقدرة والإرادة والعظمة والكبرياء، وغيرها من صفات الذات المقدسة[٢].

وقال: «الحي»: الذي له جميع معاني الحياة الكاملة، من السمع والبصر

(١) «الحق الواضح» (ص ٦٩-٧٠).

(٢) «الحق الواضح» (ص ٨٨).

والقدرة والإرادة، وغيرها من الصفات الذاتية[1].

(٣٦) القيوم

قال: «القيوم»: هو كامل القيومية الذي قام بنفسه، وعظمت صفاته، واستغنى عن جميع مخلوقاته، وقامت به الأرض والسموات وما فيهما من المخلوقات، فهو الذي أوجدها وأمدها وأعدّها لكل ما فيه بقاؤها وصلاحها وقيامها، فهو الغني عنها من كل وجه، وهي التي افتقرت إليه من كل وجه.

فالحي والقيوم من له صفة كل كمال، وهو الفعال لما يريد[2].

وقال في اسمي «الحي . القيوم»: فالحي له صفات الحياة كلها، من السمع والبصر والعلم والقدرة، وغير ذلك من المعاني العظيمة والنعوت الكاملة التي لا تتم الحياة الكاملة بدونها، وإثباتها لله على أكمل الوجوه، فلا يعرض لها ما يضادها من الموت والنوم والسِّنة والعجز والنقص بوجه من الوجوه.

و«القيوم»: الذي له العظمة كلها، الذي قام بنفسه وقام به كل شيء، الفعال لما يريد، الذي إذا أراد شيئًا قال له: كن، فيكون، وكل الصفات الفعلية والمجد والعظمة والجلال ترجع إلى اسمه القيوم.

ومرجع صفات الكمال كلها ترجع إلى هذين الاسمين الكريمين،

---

(١) «التيسير» (البقرة: ٢٥٥).

(٢) «الحق الواضح» (ص ٨٨).

ولذلك ورد الحديث[1] أن اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥، وآل عمران: ٢]؛ لاشتمالهما على جميع الكمالات.

فصفات الذات ترجع إلى الحي، ومعاني الأفعال ترجع إلى القيوم[2].

(٣٧) العظيم

قال: «العظيم»: الجامع لجميع صفات العظمة والكبرياء، والمجد والبهاء، الذي تحبه القلوب، وتعظمه الأرواح، ويعرف العارفون أن عظمة كل شيء - وإن جلت عن الصفة - فإنها مضمحلة في جانب عظمة العلي العظيم[3].

وقال: اعلم أن معاني التعظيم الثابتة لله وحده نوعان:

أحدهما: أنه موصوف بكل صفة كمال، وله من ذلك الكمال أكمله وأعظمه وأوسعه، فله العلم المحيط، والقدرة النافذة، والكبرياء، والعظمة، ومن عظمته أن السموات والأرض في كف الرحمن أصغر من الخردلة، كما قال ذلك ابن عباس وغيره.

وقال تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ

---

(١) أخرجه أبو داود (١٤٩٦) وغيره، عن أسماء بنت يزيد، أن النبي ﷺ قال: «اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ: ﴿ وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٦٣]، وَفَاتِحَةِ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿ الٓمٓ * ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ [آل عمران: ١ - ٢]». وحسنه الألباني.

(٢) «توضيح الكافية الشافية» (ص ٣٠٠).

(٣) «التيسير» (البقرة: ٢٥٥).

﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾[الزمر: ٦٧].

وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾[فاطر: ٤١].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥، والشورى: ٤].

[وقال]: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ﴾[الشورى: ٥] الآية.

وفي الصحيح عنه ﷺ: «إِنَّ اللَّـهَ يَقُولُ: الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا عَذَّبْتُهُ»(١).

فلله تعالى الكبرياء والعظمة، الوصفان اللذان لا يُقْدَر قَدْرُهما ولا يُبلغ كنهُهما.

النوع الثاني من معاني عظمته تعالى: أنه لا يستحق أحد من الخلق أن يُعَظَّم كما يُعَظَّم الله، فيستحق جل جلاله من عباده أن يعظموه بقلوبهم وألسنتهم وجوارحهم، وذلك ببذل الجهد في معرفته ومحبته والذل له والانكسار له والخضوع لكبريائه والخوف منه، وإعمال اللسان بالثناء عليه، وقيام الجوارح بشكره وعبوديته.

ومن تعظيمه: أن يتقى حق تقاته، فيطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر.

ومن تعظيمه: تعظيم ما حرمه وشرعه من زمان ومكان وأعمال: ﴿ذَٰلِكَ

---

(١) انظر «صحيح الجامع» (٤٣٠٩-٤٢١١).

﴿ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ [الحج: ٣٢]، و﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾[الحج: ٣٠].

ومن تعظيمه: أن لا يُعترَض على شيء مما خلقه أو شرعه(١).

وقال: ومن كمال عظمته: تنزيهه عن كل صفة نقص، وتقديسه أن يماثله أحد من خلقه(٢).

(٣٨) الكبير

قال: «الكبير»: الذي له الكبرياء والعظمة والمجد في أسمائه وصفاته وأفعاله، المتنزه عن كل آفة وعيب ونقص(٣).

وقال: الكبير في ذاته، وفي أسمائه، وفي صفاته، الذي من عظمته وكبريائه: أن الأرض قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه(٤).

ومن كبريائه: أن كرسيه وسع السموات والأرض.

ومن عظمته وكبريائه: أن نواصي العباد بيده، فلا يتصرفون إلا بمشيئته، ولا يتحركون ويسكنون إلا بإرادته.

وحقيقة الكبرياء التي لا يعلمها إلا هو، لا ملَك مقرب، ولا نبي

---

(١) «الحق الواضح» (ص ٢٧-٢٩).

(٢) «توضيح الكافية الشافية» (ص ٣٧٨).

(٣) «التيسير» (غافر: ١٢).

(٤) كما تقدم في شرح اسم «العظيم».

مرسل: أنها كل صفة كمال وجلال وكبرياء وعظمة فهي ثابتة له، وله من تلك الصفة أجلها وأكملها.

ومن كبريائه: أن العبادات كلها، الصادرة من أهل السموات والأرض، كلها المقصود منها تكبيره وتعظيمه، وإجلاله وإكرامه، ولهذا كان التكبير شعارًا للعبادات الكبار، كالصلاة وغيرها[1].

(٣٩) المتعال

قال: «المتعال» على جميع خلقه بذاته وقدرته وقهره[2].

(٤٠) الحليم

قال: «الحليم»: الذي يَدِرُّ على خلقه النعم الظاهرة والباطنة مع معاصيهم وكثرة زلاتهم، فيحلِم عن مقابلة العاصين بعصيانهم، ويستعتبهم كي يتوبوا، ويمهلهم كي ينيبوا[3].

(٤١) العفو

قال: أي [الذي] يعفو عن زلات عباده وذنوبهم العظيمة، فيسدل

(١) «التيسير» (الحج: ٦٢).

(٢) «التيسير» (الرعد: ٩). وراجع تفصيله في اسمي «العلي. الأعلى»، فيما تقدم.

(٣) «أصول وكليات».

عليهم ستره، ثم يعاملهم بعفوه التام[1].

وقال في اسمي «الحليم . العفو» شارحًا أبيات ابن القيم رحمه الله:

وهو الحليم فلا يعاجل عبده | بعقوبة ليتوب من عصيانِ
وهو العفو فعفوه وسع الورى | لولاه غار الأرض بالسكانِ

قال: يعني أنه تعالى الحليم الذي له الحلم الكامل، العفوّ الذي له العفو الشامل.

ومتعلق هذين الوصفين العظيمين معصية العاصين، وظلم المجرمين، فإن الذنوب تقتضي ترتب آثارها عليها من العقوبات العاجلة المتنوعة، وحلمه تعالى يقتضي إمهال العاصين وعدم معاجلتهم ليتوبوا، وعفوه يقتضي مغفرة ما صدر منهم من الذنوب، خصوصًا إذا أَتَوْا بأسباب المغفرة، من الاستغفار، والتوبة، والإيمان، والأعمال الصالحة.

وحلمه وسع السموات والأرض، فلولا عفوه ما ترك على ظهرها من دابة.

وهو تعالى عفو يحب العفو عن عباده، ويحب منهم أن يَسْعَوْا بالأسباب التي ينالون بها عفوه، من السعي في مرضاته، والإحسان إلى خلقه.

ومن كمال عفوه: أن المسرفين على أنفسهم إذا تابوا إليه غفر لهم كل جرم صغير وكبير، وأنه جعل الإسلام يجب ما قبله، والتوبة تجب ما قبلها[2].

---

(١) «التيسير» (النساء: ١٤٩).

(٢) «الحق الواضح» (ص ٥٦-٥٧).

(٤٢) التواب

قال: «التواب»: أي الرجّاع على عباده بالعفو والصفح بعد الذنب إذا تابوا، وبالإحسان والنعم بعد المنع إذا رجعوا[١].

وقال: وتوبته على عبده نوعان:

أحدهما: أنه يوقِع في قلب عبده التوبة إليه والإنابة إليه، فيقوم بالتوبة وشروطها، من الإقلاع عن المعاصي، والندم على فعلها، والعزم على أن لا يعود إليها، واستبدالها بعمل صالح.

والثاني: توبته على عبده بقبولها وإجابتها، ومحو الذنوب بها، فإن التوبة النصوح تجب ما قبلها[٢].

(٤٣) الغفور

قال: «الغفور» عن المسيئين والمقصرين والمذنبين، خصوصًا إذا تابوا وأنابوا، فإنه يغفر ذنوبهم ولو بلغت عنان السماء، ويستر عيوبهم ولو كانت ملء الدنيا[٣].

قال: ففي الحديث: «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: يَا بْنَ آدَمَ، إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ

---

(١) «التيسير» (البقرة: ١٦٠).

(٢) «الحق الواضح» (ص ٧٤).

(٣) «التيسير» (الملك: ٢).

الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً»[1].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾[النجم: ٣٢].

وقد فتح الله الأسباب لنيل مغفرته بالتوبة، والاستغفار، والإيمان، والعمل الصالح، والإحسان إلى عباد الله، والعفو عنهم، وقوة الطمع في فضل الله، وحسن الظن بالله، وغير ذلك مما جعله الله مقربًا لمغفرته[2].

(٤٤) الغفار

قال: «الغفار» لذنوب عباده التوابين المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢]، «الغفار» لمن أشرك به بعد ما رأى من آياته العظيمة، ثم تاب وأناب[3].

(٤٥) الواحد

قال: «الواحد» في ذاته وصفاته وأفعاله فلا شريك له في شيء من

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٤٠) وغيره، وهو في «الصحيحة» (رقم ١٢٧)، ولفظه: عن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ، لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً».

(٢) «الحق الواضح» (ص٧٣-٧٤).

(٣) «التيسير» (الزمر: ٥).

ذلك[1].

وقال في اسمي «الواحد . الأحد»: «الواحد . الأحد»: وهو الذي توحد بجميع الكمالات، بحيث لا يشاركه فيها مشارك، ويجب على العبيد توحيده عقلًا وقولًا وعملًا، بأن يعترفوا بكماله المطلق، وتفرده بالوحدانية، ويفردوه بأنواع العبادة[2].

(٤٦) القهار

قال: «القهار»: الذي قهر جميع الكائنات، وذلت له جميع المخلوقات، ودانت لقدرته ومشيئته مواد وعناصر العالم العلوي والسفلي، فلا يحدث حادث ولا يسكن ساكن إلا بإذنه، وما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وجميع الخلق فقراء إلى الله عاجزون لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا، ولا خيرًا ولا شرًّا.

ثم إن قهره مستلزم لحياته وعزته وقدرته، فلا يتم قهره للخليقة إلا بتمام حياته وقوة عزته واقتداره[3].

وقال في اسمي «الواحد . القهار»: أي المتفرد بعظمته وأسمائه وصفاته وأفعاله العظيمة، وقهره لكل العوالم، فكلها تحت تصرفه وتدبيره، فلا يتحرك منها متحرك ولا يسكن ساكن إلا بإذنه[4].

---

(١) «التيسير» (يوسف: ٣٩).

(٢) «أصول وكليات».

(٣) «الحق الواضح» (ص ٧٦).

(٤) «التيسير» (إبراهيم: ٤٨).

(٤٧) القدير

قال: «القدير»: كامل القدرة، بقدرته أوجد الموجودات، وبقدرته دبرها، وبقدرته سواها وأحكمها، وبقدرته يحيي ويميت، ويبعث العباد للجزاء، ويجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، الذي إذا أراد شيئًا قال له: كن، فيكون، وبقدرته يُقَلِّب القلوب، ويُصَرِّفها على ما يشاء ويريد[1].

وقال: ومن آثار قدرته: أنك ترى الأرض هامدة، فإذا أنزل عليها الماء اهتزت وربت، وأنبتت من كل زوج بهيج.

ومن آثار قدرته: ما أوقعه بالأمم المكذبين، والكفار الظالمين، من أنواع العقوبات، وحلول الـمَثُلات، وأنه لم يغن عنهم كيدهم ومكرهم، ولا أموالهم ولا جنودهم ولا حصونهم، من عذاب الله من شيء لما جاء أمر ربك، وما زادوهم غير تتبيب، وخصوصًا في هذه الأوقات، فإن هذه القوة الهائلة، والمخترعات الباهرة، التي وصلت إليها مقدرة هذه الأمم هي من إقدار الله لهم وتعليمه لهم ما لم يكونوا يعلمونه، فمن آيات الله أنّ قُوَاهم وقُدَرهم ومخترعاتهم لم تغن عنهم شيئًا في صد ما أصابهم من النكبات والعقوبات المهلكة، مع بذل جدهم واجتهادهم في توقي ذلك، ولكن أمر الله غالب، وقدرته تنقاد لها عناصر العالم العلوي والسفلي.

ومن تمام عزته وقدرته وشمولها: أنه كما أنه هو الخالق للعباد فهو خالق أعمالهم وطاعتهم ومعاصيهم، وهي أيضًا أفعالهم، فهي تضاف إلى الله خلقًا

(١) «أصول وكليات».

وتقديرًا، وتضاف إليهم فعلًا ومباشرة على الحقيقة، ولا منافاة بين الأمرين، فإن الله خالق قدرتهم وإرادتهم، وخالق السبب التام خالق للمسبب، قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات: ٩٦].

ومن آثار قدرته: ما ذكره في كتابه من نصره أولياءه على قلة عددهم وعُددهم على أعدائهم الذين فاقوهم بكثرة العدد والعُدة، قال تعالى: ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

ومن آثار قدرته ورحمته: ما يحدثه لأهل النار وأهل الجنة من أنواع العقاب وأصناف النعيم المستمر الكثير المتتابع الذي لا ينقطع ولا يتناهى(١).

(٤٨) الفتاح

قال: «الفتاح»: الذي يحكم بين عباده بأحكامه الشرعية، وأحكامه القدرية، وأحكام الجزاء، الذي فتح بلطفه بصائر الصادقين، وفتح قلوبهم لمعرفته ومحبته والإنابة إليه، وفتح لعباده أبواب الرحمة والأرزاق المتنوعة، وسبّب لهم الأسباب التي ينالون بها خير الدنيا والآخرة: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ [فاطر: ٢](٢).

وقال: «الفتاح»: هو الحَكَم المحسن الجواد، وفتحه تعالى قسمان.

أحدهما: فتحه بحكمه الديني، وحكمه الجزائي.

---

(١) «الحق الواضح» (ص ٤٥-٤٦).

(٢) «أصول وكليات».

والثاني: الفتاح بحكمه القدري.

ففتحه بحكمه الديني: هو شرعه على ألسنة رسله جميع ما يحتاجه المكلَّفون، ويستقيمون به على الصراط المستقيم.

وأما فتحه بجزائه: فهو فتحه بين أنبيائه ومخالفيهم وبين أوليائه وأعدائه، بإكرام الأنبياء وأتباعهم ونجاتهم، وبإهانة أعدائهم وعقوبتهم، وكذلك فتحه يوم القيامة وحكمه بين الخلائق حين يوفِّي كلٌّ عامل ما عمله.

وأما فتحه القدري: فهو ما يقدره على عباده من خير وشر، ونفع وضر، وعطاء ومنع، قال تعالى: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [فاطر: ٢].

فالرب تعالى هو الفتاح العليم الذي يفتح لعباده الطائعين خزائن جوده وكرمه، ويفتح على أعدائه ضد ذلك، وذلك بفضله وعدله(١).

(٤٩) الرزاق

قال: «الرزاق» لجميع المخلوقات، فما من موجود في العالم العلوي والعالم السفلي إلا متمتع برزقه مغمور بكرمه.

ورزقه نوعان:

أحدهما: الرزق النافع الذي لا تبعة فيه، وهو موصل للعبد إلى أعلى

(١) «الحق الواضح» (ص ٨٤-٨٥).

الغايات، وهو الذي على يد الرسول ﷺ بهدايته وإرشاده.

وهو نوعان أيضًا: رزق القلوب بالعلوم النافعة والإيمان الصحيح، فإن القلوب لا تصلح ولا تفلح ولا تشبع حتى يحصل لها العلم بالحقائق النافعة والعقائد الصائبة، ثم التحقق بالأخلاق الجميلة، والتنزه عن الأخلاق الرذيلة، وما جاء به الرسول كفيل بالأمرين على أكمل وجه، بل لا طريق لها إلا من طريقه.

والنوع الثاني: أن يغني الله عبده بحلاله عن حرامه وبفضله عمن سواه.

والأول هو المقصود الأعظم، وهذا وسيلة إليه ومعين له، فإذا رزق الله العبد العلم النافع والإيمان الصحيح والرزق الحلال والقناعة بما أعطاه الله منه فقد تمت أموره واستقامت أحواله الدينية والبدنية، وهذا النوع من الرزق هو الذي مدحته النصوص النبوية واشتملت عليه الأدعية النافعة.

وأما **النوع الثاني**، وهو إيصال الباري جميع الأقوات التي تتغذى بها المخلوقات؛ برها وفاجرها، المكلفون وغيرهم، فهذا قد يكون من الحرام كما يكون من الحلال.

وهذا فصل النزاع في مسألة: هل الحرام يسمى رزقًا أم لا؟

فإن أريد النوع الأول وهو الرزق المطلق الذي لا تبعة فيه فلا يدخل فيه الحرام، فإن العبد إذا سأل ربه أن يرزقه فلا يريد به إلا الرزق النافع في الدين والبدن، وهو النوع الأول.

وإن أريد به مطلق الرزق ـ وهو النوع الثاني ـ فهو داخل فيه، فما من دابة

على الأرض إلا على الله رزقها.

ومثل هذا يقال في النعمة والرحمة ونحوها[1].

(٥٠) القوي

قال: «القوي»: الذي له القوة كلها، فلا حول ولا قوة لأحد من المخلوقين إلا به[2].

وذكر في تفسير اسم «العزيز»[3] معاني العزة، فقال: عزة القوة: الدال عليها من أسمائه «القوي . المتين»، وهي وصفه العظيم الذي لا تُنسب إليه قوة المخلوقات وإن عَظُمَتْ.

(٥١) الشكور

قال: «الشكور»: هو الذي يشكر القليل من العمل الخالص النقي النافع، ويعفو عن الكثير من الزلل، ولا يُضِيع أجر من أحسن عملًا بل يضاعفه أضعافًا مضاعفة بغير عدٍّ ولا حساب.

ومن شكره: أنه يجزي بالحسنة عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وقد يجزي الله العبد على العمل بأنواع من الثواب العاجل قبل

---

(١) «توضيح الكافية الشافية» (ص ٣٨٧-٣٨٨).

(٢) «التيسير» (الشورى: ١٩).

(٣) راجع (صفحة ١٣).

الآجل.

وليس عليه حق واجب بمقتضى أعمال العباد، وإنما هو الذي أوجب الحق على نفسه كرمًا منه وجودًا، والله لا يُضِيع أجر العاملين له إذا أحسنوا في أعمالهم وأخلصوها لله تعالى[1].

(٥٢) الشاكر

قال: «الشاكر» و«الشكور» من أسماء الله تعالى: الذي يقبَل من عباده اليسير من العمل، ويجازيهم عليه العظيم من الأجر، الذي إذا قام عبده بأوامره وامتثل طاعته، أعانه على ذلك، وأثنى عليه ومدحه، وجازاه في قلبه نورًا وإيمانًا وسعة، وفي بدنه قوة ونشاطًا، وفي جميع أحواله زيادةَ بركة ونماء، وفي أعماله زيادة توفيق.

ثم بعد ذلك يقدم على الثواب الآجل عند ربه كاملًا موفَّرًا لم تنقصه هذه الأمور.

ومن شكره لعبده: أن من ترك شيئًا لله أعاضه الله خيرًا منه، ومن تقرب منه شبرًا تقرب منه ذراعًا، ومن تقرب منه ذراعًا تقرب منه باعًا، ومن أتاه يمشي أتاه هرولة، ومن عامله ربح عليه أضعافًا مضاعفة[2].

وقال: «الشاكر. الشكور»: الذي لا يُضِيع سعي العاملين لوجهه، بل

---

(١) «توضيح الكافية الشافية» (ص ٣٨٥).

(٢) «التيسير» (البقرة: ١٥٨).

يضاعفه أضعافًا مضاعفة، فإن الله لا يُضِيع أجر من أحسن عملًا، وقد أخبر في كتابه وسنة نبيه بمضاعفة الحسنات الواحدة بعشر إلى سبعمئة إلى أضعاف كثيرة، وذلك من شكره لعباده، فبعينه ما يتحمل المتحملون لأجله، ومن فعل لأجله أعطاه فوق المزيد، ومن ترك شيئًا لأجله عوضه خيرًا منه، وهو الذي وفق المؤمنين لمرضاته، ثم شكرهم على ذلك وأعطاهم من كراماته ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وكل هذا ليس حقًّا واجبًا عليه، وإنما هو الذي أوجبه على نفسه جودًا منه وكرمًا[1].

(٥٣) اللطيف

قال: اللطف من أوصافه تعالى معناه: الذي يدرك الضمائر والسرائر، الذي يوصل عباده ـ وخصوصًا المؤمنين ـ إلى ما فيه الخير لهم من حيث لا يعلمون ولا يحتسبون.

فمن لطفه بعبده المؤمن: أن هداه إلى الخير هداية لا تخطر بباله، بما يسر له من الأسباب الداعية إلى ذلك، من فطرته على محبة الحق والانقياد له، وإيزاعه تعالى لملائكته الكرام أن يثبتوا عباده المؤمنين، ويحثوهم على الخير، ويلقوا في قلوبهم من تزيين الحق ما يكون داعيًا لاتباعه.

ومن لطفه: أنْ أمَر المؤمنين بالعبادات الاجتماعية التي بها تقوى عزائمهم وتنبعث هممهم، ويحصل منهم التنافس على الخير والرغبة فيه، واقتداء بعضهم

(١) «الحق الواضح» (ص ٧٠-٧١).

ببعض.

ومن لطفه: أن قيض لعبده كل سبب يعوقه ويحول بينه وبين المعاصي، حتى إنه تعالى إذا علم أن الدنيا والمال والرياسة ونحوها مما يتنافس فيه أهل الدنيا تقطع عبده عن طاعته، أو تحمله على الغفلة عنه، أو على معصيته، صرفها عنه وقَدَر عليه رزقَه(١).

وقال: «اللطيف»: الذي أحاط علمه بالسرائر والخفايا، وأدرك الخبايا والبواطن والأمور الدقيقة، اللطيف بعباده المؤمنين، الموصل إليهم مصالحهم بلطفه وإحسانه من طرق لا يشعرون بها، فهو بمعنى «الخبير» وبمعنى «الرؤوف»(٢).

وقال: «اللطيف»: هو الذي يلطف بعبده في أموره الداخلية المتعلقة بنفسه، ويلطف بعبده في الأمور الخارجية عنه، فيسوقه ويسوق إليه ما به صلاحه من حيث لا يشعر، وهذا من آثار علمه وكرمه ورحمته.

فلهذا كان معنى «اللطيف»: أنه الخبير الذي أحاط علمه بالأسرار والبواطن، والخبايا والخفايا، ومكنونات الصدور ومُغَيَّبات الأمور، وما لطف ودَقَّ من كل شيء.

النوع الثاني: لطفه بعبده ووليه الذي يريد أن يتم عليه إحسانه ويشمله بكرمه، ويرقيه إلى المنازل العالية، فييسره لليسرى ويجنبه العسرى، ويُجري

---

(١) «التيسير» (الشورى: ١٩).

(٢) «أصول وكليات».

عليه من أصناف المحن التي يكرهها وتشق عليه وهي عين صلاحه والطريق إلى سعادته، كما امتحن الأنبياء بأذى قومهم وبالجهاد في سبيله، وكما ذكر الله عن يوسف ﷺ وكيف ترقت به الأحوال ولطف الله به وله بما قَدَّرَه عليه من تلك الأحوال التي حصل له في عاقبتها حسن العقبى في الدنيا والآخرة، وكما يَمتحن أولياءه بما يكرهونه ليُنِيلهم ما يحبون[1].

قال: فكم لله من لطف وكرم لا تدركه الأفهام ولا تتصوره الأوهام! وكم استشرف العبد على مطلوب من مطالب الدنيا من ولاية ورياسة أو سبب من الأسباب المحبوبة! فيصرفه الله عنها ويصرفها عنه رحمة به لئلا تضره في دينه، فيظل العبد حزينًا من جهله وعدم معرفته بربه، ولو علم ما ذُخِر له في الغيب وأُريد إصلاحه فيه لحمد الله وشكره على ذلك[2].

وقال سائلًا: ما معنى لطف الله بعبده ولطفه لعبده الذي تتعلق به آمال العباد ويسألونه من ربهم، وهو أحد معنيي مقتضى اسمه «اللطيف»؟ فإن «اللطيف» بمعنى الخبير العليم قد تقرر معناه، ولكن المطلوب هنا المعنى الثاني الذي يضطر إليه العباد، ولنذكر بعض أمثلته وأنواعه ليتضح:

فاعلم أن اللطف الذي يطلبه العباد من الله بلسان المقال ولسان الحال هو من الرحمة، بل هو رحمة خاصة، فالرحمة التي تصل العبد من حيث لا يشعر بها أو لا يشعر بأسبابها هي اللطف، فإذا قال العبد: يا لطيف الطف بي أو لي وأسألك لطفك، فمعناه: تولني ولاية خاصة بها تصلح أحوالي الظاهرة

---

(١) «الحق الواضح» (ص ٦١-٦٢).

(٢) «الحق الواضح» (ص ٦٢).

والباطنة وبها تندفع عني جميع المكروهات من الأمور الداخلية والأمور الخارجية.

فالأمور الداخلية لطف بالعبد، والأمور الخارجية لطف للعبد، فإذا يسر الله عبده وسهل [له] طريق الخير وأعانه عليه فقد لطف به، وإذا قيض الله له أسبابًا خارجية غير داخلة تحت قدرة العبد فيها صلاحه فقد لطف له، ولهذا لما تنقلت بيوسف عليه السلام تلك الأحوال، وتطورت به الأطوار، من رؤياه، وحسد إخوته له، وسعيهم في إبعاده جدًّا، واختصاصهم بأبيهم، ثم محنته بالنسوة، ثم بالسجن، ثم بالخروج منه بسبب رؤيا الملك العظيمة، وانفراده بتعبيرها، وتبوئه من الأرض حيث يشاء، وحصول ما حصل على أبيه من الابتلاء والامتحان، ثم حصل بعد ذلك الاجتماع السار وإزالة الأكدار وصلاح حالة الجميع، والاجتباء العظيم ليوسف، عرف عليه السلام أن هذه الأشياء وغيرها لطف لطف الله لهم به، فاعترف بهذه النعمة فقال: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [يوسف: ١٠٠]

أي: لطفه تعالى خاص لمن يشاء من عباده ممن يعلمه تعالى محلًّا لذلك وأهلًا له، فلا يضعه إلا في محله، الله أعلم حيث يضع فضله.

فإذا رأيت الله تعالى قد يسر العبد لليسرى، وسهل له طريق الخير، وذلل له صعابه، وفتح له أبوابه، ونهج له طرقه، ومهد له أسبابه، وجنبه العسرى، فقد لطف به.

ومن لطفه بعباده المؤمنين: أنه يتولاهم بلطفه فيخرجهم من الظلمات إلى

النور؛ من ظلمات الجهل والكفر والبدع والمعاصي إلى نور العلم والإيمان والطاعة.

ومن لطفه: أنه يرحمهم من طاعة أنفسهم الأمارة بالسوء التي هذا طبعها وديدنها، فيوفقهم لنهي النفس عن الهوى، ويصرف عنهم السوء والفحشاء، فتوجد أسباب الفتنة وجواذب المعاصي وشهوات الغي فيرسل الله عليها برهان لطفه ونور إيمانهم الذي منَّ به عليهم، فيدَعونها مطمئنين لذلك منشرحة لتركها صدورهم.

ومن لطفه بعباده: أنه يقدر أرزاقهم بحسب علمه بمصلحتهم لا بحسب مراداتهم، فقد يريدون شيئًا وغيره أصلح، فيقدر لهم الأصلح وإن كرهوه لطفًا بهم وبرًّا وإحسانًا، ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ﴾ [الشورى: ١٩]، ﴿وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ﴾ [الشورى: ٢٧]

ومن لطفه بهم: أنه يقدر عليهم أنواع المصائب وضروب المحن والابتلاء بالأمر والنهي الشاق رحمة بهم ولطفًا وسَوْقًا إلى كمالهم وكمال نعيمهم، ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

ومن لطيف لطفه بعبده إذا أهله للمراتب العالية، والمنازل السامية، التي لا تدرك [إلا][1] بالأسباب العظام التي لا يدركها إلا أرباب الهمم العالية، والعزائم السامية: أن يقدر له في ابتداء أمره بعض الأسباب المحتملة المناسبة

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.

للأسباب التي أهّل لها، ليتدرج من الأدنى إلى الأعلى، ولتتمرن نفسه ويصير له ملكة من جنس ذلك الأمر، وهذا كما قدر لموسى ومحمد وغيرهما من الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - في ابتداء أمرهم رعاية الغنم ليتدرجوا من رعاية الحيوان البهيم وإصلاحه إلى رعاية بني آدم ودعوتهم وإصلاحهم.

وكذلك يذيق عبده حلاوة بعض الطاعات، فينجذب ويرغب ويصير له ملكة قوية بعد ذلك على طاعات أجل منها وأعلى ولم تكن تحصل بتلك الإرادة السابقة، حتى وصل إلى هذه الإرادة والرغبة التامة.

ومن لطفه بعبده: أن يقدر له أن يتربى في ولاية أهل الصلاح والعلم والإيمان وبين أهل الخير ليكتسب من أدبهم وتأديبهم ولينشأ على صلاحهم وإصلاحهم، كما امتن الله على مريم في قوله تعالى: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾[آل عمران: ٣٧]، إلى آخر قصتها.

ومن ذلك: إذا نشأ بين أبوين صالحين وأقارب أتقياء أو في بلد صلاح، أو وفقه الله لمقارنة أهل الخير وصحبتهم، أو لتربية العلماء الربانيين، فإن هذا من أعظم لطفه بعبده، فإن صلاح العبد موقوف على أسباب كثيرة، منها - بل من أكثرها وأعظمها نفعًا - هذه الحالة.

ومن ذلك: إذا نشأ العبد في بلد أهله على مذهب أهل السنة والجماعة فإن هذا لطف له، وكذلك إذا قدر الله أن يكون مشايخه الذين يستفيد منهم الأحياء منهم والأموات أهل سنة وتقى، فإن هذا من اللطف الرباني.

ولا يخفى لطف الباري في وجود شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في

أثناء قرون هذه الأمة، وتبيين الله به وبتلامذته من الخير الكثير والعلم الغزير، وجهاد أهل البدع والتعطيل والكفر، ثم انتشار كتبه في هذه الأوقات، فلا شك أن هذا من لطف الله لمن انتفع بها، وأنه يتوقف خير كثير على وجودها، فلله الحمد والمنة والفضل.

ومن لطف الله بعبده: أن يجعل رزقه حلالًا في راحة وقناعة يحصل به المقصود ولا يشغله عما خلق له من العبادة والعلم والعمل، بل يعينه على ذلك ويفرغه ويريح خاطره وأعضاءه.

ولهذا مِن لطف الله تعالى لعبده: أنه ربما طمحت نفسه لسبب من الأسباب الدنيوية التي يظن فيها إدراك بغيته فيعلم الله تعالى أنها تضره وتصده عما ينفعه فيحول بينه وبينها، فيظل العبد كارهًا ولم يدر أن ربه قد لطف به حيث أبقى له الأمر النافع وصرف عنه الأمر الضار، ولهذا كان الرضا بالقضاء في مثل هذه الأشياء من أعلى المنازل.

ومن لطف الله بعبده إذا قدر له طاعة جليلة لا تُنال إلا بأعوان أن يقدر له أعوانًا عليها ومساعدين على حملها، قال موسى عليه السلام: ﴿ وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي * هَٰرُونَ أَخِي * ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي * كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا * وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴾ [طه: ٢٩ - ٣٤].

وكذلك امتن على عيسى بقوله: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾ [المائدة: ١١١].

وامتن على سيد الخلق في قوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال: ٦٢].

وهذا لطف لعبده خارج عن قدرته.

ومن هذا: لطف الله بالهادين إذا قيض الله من يهتدي بهداهم ويقبل إرشادهم، فتتضاعف بذلك الخيرات والأجور التي لا يدركها العبد بمجرد فعله، بل هي مشروطة بأمر خارجي.

ومن لطف الله بعبده: أن يعطي عبده من الأولاد والأموال والأزواج ما به تقر عينه في الدنيا ويحصل له السرور، ثم يبتليه ببعض ذلك ويأخذه، ويعوضه عليه الأجر العظيم إذا صبر واحتسب، فنعمة الله عليه بأخذه على هذا الوجه أعظم من نعمته عليه في وجوده وقضاء مجرد وطره الدنيوي منه، وهذا أيضًا خير وأجر خارج عن أحوال العبد بنفسه، بل هو لطف من الله له قيض له أسبابًا أعاضه عليها الثواب الجزيل والأجر الجميل.

ومن لطف الله بعبده: أن يبتليه ببعض المصائب فيوفقه للقيام بوظيفة الصبر فيها فينيله درجات عالية لا يدركها بعمله، وقد يشدد عليه الابتلاء بذلك، كما فعل بأيوب عليه السلام، ويوجِد في قلبه حلاوة رَوح الرجاء وتأميل الرحمة وكشف الضر فيخف ألمه وتنشط نفسه.

ولهذا من لطف الله بالمؤمنين: أن جعل في قلوبهم احتساب الأجر، فخفت مصائبهم وهان ما يلقَوْن من المشاقّ في حصول مرضاته.

ومن لطف الله بعبده المؤمن الضعيف: أن يعافيه من أسباب الابتلاء التي تضعف إيمانه وتنقص إيقانه، كما أن من لطفه بالمؤمن القوي تهيئة أسباب الابتلاء والامتحان، ويعينه عليها ويحملها عنه، ويزداد بذلك إيمانه ويعظم أجره، فسبحان اللطيف في ابتلائه وعافيته وعطائه ومنعه!

ومن لطف الله بعبده: أن يسعى لكمال نفسه مع أقرب طريق يوصله إلى ذلك مع وجود غيرها من الطرق التي تبعد عليه، فييسر عليه التعلم من كتاب أو معلم يكون حصول المقصود به أقرب وأسهل، وكذلك ييسره لعبادة يفعلها بحالة اليسر والسهولة وعدم التعويق عن غيرها مما ينفعه، فهذا من اللطف.

ومن لطف الله بعبده قَدْرُ[1] الواردات الكثيرة والأشغال المتنوعة والتدبيرات والمتعلقات الداخلة والخارجة التي لو قسمت على أمة من الناس لعجزت قواهم [عنها]: أن يمن عليه بخلُق واسع وصدر متسع وقلب منشرح بحيث يعطي كل فرد من أفرادها نظرًا ثاقبًا وتدبيرًا تامًّا وهو غير مكترث ولا منزعج لكثرتها وتفاوتها، بل قد أعانه الله تعالى عليها ولطف به فيها ولطف له في تسهيل أسبابها وطرقها.

وإذا أردت أن تعرف هذا الأمر فانظر إلى حالة المصطفى ﷺ الذي بعثه الله بصلاح الدارين وحصول السعادتين، وبعثه مكملًا لنفسه ومكملًا لأمة عظيمة هي خير الأمم، ومع هذا مكنه الله ببعض عمره الشريف في نحو ثلث عمره أن يقوم بأمر الله كله على كثرته وتنوعه، وأن يقيم لأمته جميع دينهم، ويعلمهم جميع أصوله وفروعه، ويخرج الله به أمة كبيرة من الظلمات إلى النور، ويحصل به من المصالح والمنافع والخير والسعادة للخاص والعام ما لا تقوم به أمة من الخلق.

ومن لطف الله تعالى بعبده: أن يجعل ما يبتليه به من المعاصي سببًا لرحمته،

---

(١) كذا هي، ولعلها: «إذا قدّر عليه الواردات»، أو: «الذي قدر عليه الواردات»، فهذا أصح وأوضح.

فيفتح له عند وقوع ذلك باب التوبة والتضرع والابتهال إلى ربه وازدراء نفسه واحتقارها وزوال العُجْب والكِبْر من قلبه ما هو خير له من كثير من الطاعات.

ومن لطفه بعبده الحبيب عنده إذا مالت نفسه مع شهوات النفس الضارة واسترسلت في ذلك: أن ينغصها عليه ويكدرها، فلا يكاد يتناول منها شيئًا إلا مقرونًا بالمكدرات محشوًّا بالغصص، لئلا يميل معها كل الميل، كما أن من لطفه به: أن يلذذ له التقربات ويحلِّي له الطاعات ليميل إليها كل الميل.

ومن لطيف لطف الله بعبده: أن يأجره على أعمال لم يعملها بل عزم عليها، فيعزم على قربة من القرب ثم تنحل عزيمته لسبب من الأسباب فلا يفعلها فيحصل له أجرها، فانظر كيف لطف الله به فأوقعها في قلبه وأدارها في ضميره وقد علم تعالى أنه لا يفعلها سَوْقًا لبِرِّه لعبده وإحسانه بكل طريق.

وألطف من ذلك: أن يقيض لعبده طاعة أخرى غير التي عزم عليها هي أنفع له منها، فيدع العبد الطاعة التي ترضي ربه لطاعة أخرى هي أرضى لله منها، فتحصل له المفعولة بالفعل والمعزوم عليها بالنية، وإذا كان من يهاجر إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت قبل حصول مقصوده قد وقع أجره على الله مع أن قطع الموت بغير اختياره فكيف بمن قطعت عليه نيته الفاضلة طاعة قد عزم على فعلها؟!

وربما أدار الله في ضمير عبده عدة طاعات كل طاعة لو انفردت لفعلها العبد لكمال رغبته ولا يمكن فعل شيء منها إلا بتفويت الأخرى، فيوفقه

للموازنة بينها وإيثار أفضلها فعلًا مع رجاء حصولها جميعها عزمًا ونية.

وألطف من هذا: أن يقدر تعالى لعبده ويبتليه بوجود أسباب المعصية ويوفر له دواعيها وهو تعالى يعلم أنه لا يفعلها ليكون تركه لتلك المعصية التي توفرت أسباب فعلها من أكبر الطاعات، كما لطف بيوسف عليه السلام في مراودة المرأة.

وأحد السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله رب العالمين.

ومن لطف الله بعبده: أن يقدر خيرًا وإحسانًا من عبده ويجريه على يد عبده الآخر ويجعله طريقًا إلى وصوله إلى المستحق فيثيب الله الأول والآخر.

ومن لطف الله بعبده: أن يجري بشيء من ماله شيئًا من النفع وخيرًا لغيره فيثيبه من حيث لا يحتسب، فمن غرس غرسًا أو زرع زرعًا فأصابت منه روح من الأرواح المحترمة شيئًا آجر الله صاحبه وهو لا يدري، خصوصًا إذا كانت عنده نية حسنة وعقد مع ربه عقدًا في أنه مهما ترتب على ماله شيء من النفع فأسألك يا رب أن تأجرني وتجعله قربة لي عندك، وكذلك لو كان له بهائم انتُفع بدرها وركوبها والحمل عليها، أو مساكن انتُفع بسكناها ولو شيئًا قليلًا، أو ماعون ونحوه انتُفع به، أو عين شُرِب منها، وغير ذلك ككتاب انتُفع به في تعلم شيء منه، أو مصحف قُرِئ فيه، والله ذو الفضل العظيم.

ومن لطف الله بعبده: أن يفتح له بابًا من أبواب الخير لم يكن له على بال، وليس ذلك لقلة رغبته فيه وإنما هو غفلة منه وذهول عن ذلك الطريق، فلم

يشعر إلا وقد وجد في قلبه الداعي إليه والملفت إليه، ففرح بذلك وعرف أنها من ألطاف سيده وطرقه التي قيض وصولها إليه، فصرف لها ضميره ووجه إليها فكره، وأدرك منها ما شاء الله وفتح(١).

(٥٤) الخبير

قال: «الخبير»: المطَّلع على السرائر والضمائر وخفايا الأمور(٢).

(٥٥) القريب

قال: اعلم أن قربه تعالى نوعان: عام، وخاص.

فالقرب العام: قربه بعلمه من جميع الخلق، وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ [قٓ: ١٦].

والقرب الخاص: قربه من عابديه، وسائليه، ومحبيه، وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴾ [العلق: ١٩]، وفي [قوله: ﴿ فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾ [هود: ٦١]]، وفي قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

---

(١) «المواهب الربانية» (ص ٧٠-٧٦). قلت: هذا استطراد عجيب من الإمام ابن سعدي ـ رحمه الله تعالى ـ شوَّف به النفوس إلى التعرض للطف الله تعالى والاستشراف لكرمه العظيم وفضله العميم ورحمته الواسعة، فللَّه دره!

(٢) «التيسير» (الأنعام: ١٨).

وهـذا النـوع قـرب يقتضي إلطافـه تعـالى، وإجابتـه لـدعواتهم، وتحقيقـه لمراداتهم، ولهذا يقرن باسمه «القريب» اسمه «المجيب»[١].

قال: وهو قـرب لا تـدرَك لـه حقيقـة، وإنـما تُعلـم آثـاره مـن لطفـه بعبـده وعنايته به وتوفيقه وتسديده.

ومن آثاره الإجابة للداعين، والإثابة[٢] للعابدين[٣].

وقـال: وهـو قـرب يقتضي المحبـة والنصرـة والتأييـد في الحركـات والسكنات، والإجابة للداعين، والقبول والإثابة للعابدين، قال تعـالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾[البقرة: ١٨٦][٤].

(٥٦) المجيب

قال: هو المجيب إجابةً عامة للداعين مهما كانوا، وأيـن كـانوا، وعلى أي حال كـانوا، كما وعـدهم بهـذا الوعـد المطلـق، وهـو المجيـب إجابـة خاصـة للمسـتجيبين لـه المنقـادين لشرـعه، وهـو المجيـب أيضًـا للمضطرين، ومن انقطـع رجـاؤهم مـن المخلـوقين وقـوي تعلقهـم بـه طمعًا ورجاء وخوفًا[٥].

---

(١) «التيسير» (هود: ٦١).

(٢) في الأصل: «والإنابة». والصحيح ما أثبته، لما سيأتي.

(٣) «أصول وكليات».

(٤) «الحق الواضح» (ص ٦٤).

(٥) «أصول وكليات».

وقال: المجيب لجميع الداعين، وإجابة خاصة للمضطرين، وأخص من ذلك إجابته للمحبين الخاضعين لعظمته، المنكسرة قلوبهم من أجله.

فإجابته تعالى عامة للمخلوقات، بَرِّها وفاجرها، بإعطائهم ما سألوه بلسان المقال، وما احتاجوه بلسان الحال، كما قال تعالى: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾[إبراهيم: ٣٤]، والإجابة المذكورة في الكتاب والسنة، كإجابته للمضطرين، وللمحبين، والوالد لولده، والمسافر، والمريض، ونحوهم[١].

وقال: المجيب لدعوة الداعين، وسؤال السائلين، وعباده المستجيبين، وإجابته نوعان:

إجابة عامة لكل من دعاه دعاء عبادة أو دعاء مسألة: قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[غافر: ٦٠].

فدعاء المسألة أن يقول العبد: اللهم أعطني كذا أو اللهم ادفع عني كذا، فهذا يقع من البر والفاجر، ويستجيب الله فيه لكل من دعاه بحسب الحالة المقتضية، وبحسب ما تقتضيه حكمته، وهذا يُستدل به على كرم المولى وشمول إحسانه للبر والفاجر.

ولا يدل بمجرده على حسن حال الداعي الذي أجيبت دعوته إن لم يقترن بذلك ما يدل عليه وعلى صدقه وتعيّن الحق معه، كسؤال الأنبياء ودعائهم لقومهم وعلى قومهم فيجيبهم الله، فإنه يدل على صدقهم فيما أَخبروا به وكرامتهم على ربهم، ولهذا كان النبي ﷺ كثيرًا ما يدعو بدعاء

(١) «توضيح الكافية الشافية» (ص ٣٨٣-٣٨٤).

يشاهد المسلمون وغيرهم إجابته، وذلك من دلائل نبوته وآيات صدقه، وكذلك ما يذكرونه عن كثير من أولياء الله من إجابة الدعوات فإنه من أدلة كراماتهم على الله.

وأما الإجابة الخاصة فلها أسباب عديدة:

منها: دعوة المضطر الذي وقع في شدة وكربة عظيمة، فإن الله يجيب دعوته، قال تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾ [النمل: ٦٢]، وسبب ذلك شدة الافتقار إلى الله، وقوة الانكسار، وانقطاع تعلقه بالمخلوقين، ولسعة رحمة الله التي يشمل بها الخلق بحسب حاجتهم إليها، فكيف بمن اضطر إليها؟!

ومن أسباب الإجابة: طول السفر، والتوسل إلى الله بأحب الوسائل إليه من أسمائه وصفاته ونعمه، وكذلك دعوة المريض، والمظلوم، والصائم، والوالد على ولده أو له، وفي الأوقات والأحوال الشريفة[1].

(٥٧) الرقيب

قال: «الرقيب»: المطَّلع على ما أكنّته الصدور، القائم على كل نفس بما كسبت، الذي حفظ المخلوقات وأجراها على أحسن نظام وأكمل تدبير.

(٥٨) الشهيد

قال: «الشهيد»: أي المطَّلع على جميع الأشياء، سمع جميع الأصوات

---

(١) «الحق الواضح» (ص ٦٥-٦٦).

خفيها وجليها، وأبصر جميع الموجودات دقيقها وجليلها صغيرها وكبيرها، وأحاط علمه بكل شيء، الذي شهد لعباده وعلى عباده بما عملوه[1].

وقال: «الرقيب» و«الشهيد»...كلاهما يدل على إحاطة سمع الله بالمسموعات، وبصره بالمبصرات، وعلمه بجميع المعلومات الجليّة والخفية، وهو الرقيب على ما دار في الخواطر، وما تحركت به اللواحظ، ومن باب أولى الأفعال الظاهرة بالأركان.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء: ١]، ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴾ [المجادلة: ٦، والبروج:٩].

ولهذا كانت المراقبة التي هي من أعلى أعمال القلوب هي التعبد لله باسمه «الرقيب . الشهيد»، فمتى علم العبد أن حركاته الظاهرة والباطنة قد أحاط الله بعلمها، واستحضر هذا العلم في كل أحواله، أوجب له ذلك حراسة باطنه عن كل فكر وهاجس يبغضه الله، وحِفظ ظاهره عن كل قول أو فعل يُسْخِط الله، وتعبد بمقام الإحسان؛ فعبد الله كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فإنه يراه[2].

(٥٩) الحفيظ

قال في شرح قول الإمام ابن القيم من «القصيدة النونية»:

وهو الحفيظ عليهم وهو الكفيـ ... ـل بحفظهم من كل أمر عانِ

(١) «أصول وكليات».

(٢) «الحق الواضح» (ص ٥٨-٥٩).

قال: ذكر للحفيظ معنيين:

أحدهما: أنه قد حفظ على عباده ما عملوه من خير وشر وطاعة ومعصية، فإن علمه محيط بجميع أعمالهم ظاهرها وباطنها، وقد كتب ذلك في اللوح المحفوظ، ووكَّل بالعباد ملائكة كرامًا كاتبين يعلمون ما تفعلون، فهذا المعنى من حفظه يقتضي إحاطة علم الله بأحوال العباد كلها ظاهرها وباطنها، وكتابتها في اللوح المحفوظ، وفي الصحف التي في أيدي الملائكة، وعلمه بمقاديرها، وكمالها، ونقصها، ومقادير جزائها في الثواب والعقاب، ثم مجازاته عليها بفضله وعدله.

و**المعنى الثاني** من معنيي «الحفيظ»: أنه تعالى الحافظ لعباده من جميع ما يكرهون، ولهذا قال[1]: «وهو الكفيل بحفظهم من كل أمر عان»؛ أي: مشقٍّ مكروه.

وحفظه لخلقه نوعان؛ عام وخاص:

فالعام: حفظه لجميع المخلوقات بتيسيره لها ما يُقِيتُها ويحفظ بنيتها، وتمشي إلى هدايتها وإلى مصالحها بإرشاده وهدايته العامة التي قال عنها: ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠].

أي: هدى كل مخلوق إلى ما قدّر له وقضى له من ضروراته وحاجاته، كالهداية للمأكل والمشرب والمنكح والسعي في أسباب ذلك، وكدفعه عنهم أصناف المكاره والمضار، وهذا يشترك فيه البر والفاجر، بل الحيوانات وغيرها،

(١) يعني: الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى.

فهو الذي يحفظ السموات والأرض أن تزولا، ويحفظ الخلائق بنعمه، وقد وكَّل بالآدمي حَفَظة من الملائكة الكرام يحفظونه من أمر الله؛ أي: يدفعون عنه كل ما يضره مما هو بصدد أن يضره لولا حفظ الله.

و**النوع الثاني**: حفظه الخاص لأوليائه سوى ما تقدم، يحفظهم عما يضر إيمانهم أو يزلزل إيقانهم من الشُّبَه والفتن والشهوات، فيعافيهم منها ويخرجهم منها بسلامة وحفظ وعافية، ويحفظهم من أعدائهم من الجن والإنس، فينصرهم عليهم ويدفع عنهم كيدهم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾[الحج: ٣٨].

وهذا عام في دفع جميع ما يضرهم في دينهم ودنياهم، فعلى حسب ما عند العبد من الإيمان تكون مدافعة الله عنه بلطفه.

وفي الحديث: «احْفَظِ اللَّـهَ يَحْفَظْكَ»[١].

أي: احفظ أوامره بالامتثال، ونواهيه بالاجتناب، وحدوده بعدم تعديها، يحفظْك في نفسك ودينك ومالك وولدك، وفي جميع ما آتاك الله من فضله[٢].

(٦٠) الولي

قال: «الولي»: الذي يتولى عباده بأنواع التدبير، ويتولى القيام بمصالح

(١) بعض حديث، أخرجه الترمذي (٢٥١٦) وغيره، وقال: «حسن صحيح». وصححه الألباني.

(٢) «الحق الواضح» (ص ٥٨-٥٩).

دينهم ودنياهم[١].

وقال: «الولي»: الذي يتولاه عبدُه بعبادته وطاعته والتقرب إليه بما أمكن من أنواع التقربات، ويتولى عبادَه عمومًا بتدبيره ونفوذ القَدَر فيهم، ويتولى عباده المؤمنين خصوصًا بإخراجهم من الظلمات إلى النور، وتربيتهم بلطفه، وإعانتهم في جميع أمورهم[٢].

(٦١) المولى

قال: «المولى»: الذي يتولى عباده المؤمنين، ويوصل إليهم مصالحهم، وييسر لهم منافعهم الدينية والدنيوية[٣].

(٦٢) الهادي

قال: «الهادي»: الذي يهدي عباده إلى جميع المنافع، وإلى دفع المضار، ويعلمهم ما لا يعلمون، ويهديهم لهداية التوفيق والتسديد، ويلهمهم التقوى، ويجعل قلوبهم منيبة إليه منقادة لأمره[٤].

(٦٣) النصير

قال: «النصير»: الذي ينصر عباده المؤمنين على أعدائهم، فيدفع

---

(١) «التيسير» (الشورى: ٢٨).

(٢) «التيسير» (الشورى: ٩).

(٣) «التيسير» (الأنفال: ٤٠). وانظر ما تقدم في تفسير اسم «الولي».

(٤) انظر «أصول وكليات».

عنهم كيد الفجار، وتكالب الأشرار، ويبين لهم ما يحذرون منهم، ويعينهم عليهم.

و«النصير»: الذي يدفع عن عباده كل مكروه في أمر الدين والدنيا(١).

(٦٤) الواسع

قال: الواسع الصفات والنعوت ومتعلقاتها، بحيث لا يحصي أحد ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه، واسع العظمة والسلطان والملك، واسع الفضل والإحسان، عظيم الجود والكرم(٢).

(٦٥) الخلاق

قال: «الخلاق»: الذي جميع المخلوقات، متقدمها ومتأخرها، صغيرها وكبيرها، كلها أثر من آثار خلقه وقدرته، وأنه لا يستعصي عليه مخلوق أراد خلقه(٣).

(٦٦) المقيت

قال في تفسير قوله تعالى: ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴾ [النساء: ٨٥]:

---

(١) انظر «التيسير» (النساء: ٤٥، والأنفال: ٤٠، والفرقان: ٣١).

(٢) «أصول وكليات».

(٣) «التيسير» (يس: ٨١). وانظر ما تقدم في تفسير اسم «الخالق».

أي: شاهدًا حفيظًا حسيبًا على هذه الأعمال، فيجازي كُلًّا ما يستحقه.

وقال: «المقيت»: الذي أوصل إلى كل موجود ما به يقتات، وأوصل إلى [المخلوقات] أرزاقها، وصرّفها كيف يشاء بحكمته وحمده[1].

(٦٧) الحسيب

قال: «الحسيب»: بمعنى الرقيب المحاسب لعباده المتولي جزاءهم بالعدل والفضل، وبمعنى الكافي عبده همومه وغمومه.

وأخص من ذلك أنه الحسيب للمتوكلين: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾[الطلاق: ٣].

أي: كافيه أمور دينه ودنياه[2].

وقال: «الحسيب»: هو الكافي للعباد جميع ما أهمهم من أمر دينهم ودنياهم، من حصول المنافع ودفع المضار.

و«الحسيب» بالمعنى الأخص: هو الكافي لعبده المتقي المتوكل عليه كفاية خاصة يُصْلِح بها دينه ودنياه.

و«الحسيب» أيضًا: هو الذي يحفظ أعمال عباده من خير وشر، ويحاسبهم إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشر.

---

(١) «أصول وكليات».

(٢) «توضيح الكافية الشافية» (ص ٣٨٦).

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال: ٦٤].

أي: كافيك وكافي أتباعك.

فكفاية الله لعبده بحسب ما قام به من متابعة الرسول ظاهرًا وباطنًا، وقيامه بعبودية الله تعالى[1].

(٦٨) الوكيل

قال: «الوكيل»: المتولي لتدبير خلقه بعلمه وكمال قدرته وشمول حكمته، الذي تولى أولياءه، فيسرهم لليسرى، وجنبهم العسرى، وكفاهم الأمور، فمن اتخذه وكيلًا كفاه: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾[البقرة: ٢٥٧][2].

(٦٩) القاهر

قال في تفسير قول الله تعال: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾[الأنعام: ١٨ و٦١]:

﴿**وهو القاهر فوق عباده**﴾؛ فلا يتصرف منهم متصرف، ولا يتحرك متحرك، ولا يسكن ساكن، إلا بمشيئته، وليس للملوك وغيرهم الخروج عن ملكه وسلطانه، بل هم مدبَّرون مقهورون، فإذا كان هو القاهر وغيره مقهورًا كان هو المستحق للعبادة.

وقال: ﴿**وهو القاهر فوق عباده**﴾؛ يُنْفِذ فيهم إرادته الشاملة ومشيئته

(١) «الحق الواضح» (ص ٧٨).

(٢) «أصول وكليات».

العامة، فليسوا يملكون من الأمر شيئًا، ولا يتحركون ولا يسكنون إلا بإذنه.

(٧٠) المحيط

قال: المحيط بكل شيء علمًا، وقدرة، ورحمة، وقهرًا[1].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ [النساء: ١٢٦]:

قد أحاط علمه بجميع المعلومات، وبصره بجميع المبصرات، وسمعه بجميع المسموعات، ونفذت مشيئته وقدرته بجميع الموجودات، ووسعت رحمته أهل الأرض والسموات، وقهر بعزه وقهره كل مخلوق، ودانت له جميع الأشياء[2].

(٧١) الوارث

وقال في تفسير قول الله تعالى على لسان نبيه زكريا عليه الصلاة والسلام: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٩]:

﴿وأنت خير الوارثين﴾؛ أي: خير الباقين، وخير مَنْ خلَفني بخير.

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ [القصص: ٥٨]:

﴿وكنا نحن الوارثين﴾ للعباد؛ نُمِيتُهم، ثم يرجع إلينا جميع ما متعناهم

(١) «أصول وكليات».

(٢) «التيسير» (النساء: ١٢٦).

به من النعم، ثم نعيدهم إلينا فنجازيهم بأعمالهم.

(٧٢) الرب

قال: «الرب»: هو المربي جميع العالمين ـ وهم من سوى الله ـ بخلقه إياهم، وإعداده لهم الآلات، وإنعامه عليهم بالنعم العظيمة التي لو فقدوها لم يمكن لهم البقاء، فما بهم من نعمة فمنه تعالى.

وتربيته تعالى لخلقه نوعان: عامة وخاصة.

فالعامة: هي خلقه للمخلوقين، ورزقهم، وهدايتهم لما فيه مصالحهم التي فيها بقاؤهم في الدنيا.

والخاصة: تربيته لأوليائه، فيربيهم بالإيمان ويوفقهم له، ويكمله لهم، ويدفع عنهم الصوارف والعوائق الحائلة بينهم وبينه، وحقيقتها: تربية التوفيق لكل خير، والعصمة من كل شر.

ولعل هذا المعنى هو السر في كون أكثر أدعية الأنبياء بلفظ[١] «الرب»، فإن مطالبهم كلها داخلة تحت ربوبيته الخاصة[٢].

(٧٣) (٧٤) المقدم . المؤخر

قال: «المقدم . المؤخر»: وهما من الأسماء المزدوجة المتقابلة التي لا يطلق

---

(١) لو قال: باسم «الرب»!

(٢) «التيسير» (الفاتحة: ٢).

واحد بمفرده على الله إلا مقرونًا بالآخر، فإن الكمال من اجتماعهما، فهو تعالى المقدم لمن شاء والمؤخر لمن شاء بحكمته.

وهذا التقديم يكون كونيًّا كتقديم بعض المخلوقات على بعض وتأخير بعضها على بعض، وكتقديم الأسباب على مسبباتها، والشروط على مشروطاتها، وأنواع التقديم والتأخير في الخلق والتقدير بحر لا ساحل له.

ويكون شرعيًّا كما فضل الأنبياء على الخلق، وفضل بعضهم على بعض، وفضل بعض عباده على بعض، وقدمهم في العلم والإيمان والعمل والأخلاق وسائر الأوصاف، وأخَّر مَنْ أخَّر منهم بشيء من ذلك، وكل هذا تبع لحكمته.

وهذان الوصفان وما أشبههما من الصفات الذاتية لكونهما قائمَين بالله والله متصف بهما، ومن صفات الأفعال لأن التقديم والتأخير متعلق بالمخلوقات، ذواتها وأفعالها ومعانيها وأوصافها، وهي ناشئة عن إرادة الله وقدرته[1].

(٧٥) (٧٦) القابض . الباسط

قال: هذه الأسماء الكريمة من الأسماء المتقابلات التي لا ينبغي أن يُثنى على الله بها إلا كل واحد مع الآخر، لأن الكمال المطلق من اجتماع الوصفين، فهو القابض للأرزاق والأرواح والنفوس، والباسط للأرزاق والرحمة

(١) «الحق الواضح» (ص ١٠٠).

والقلوب[1].

(٧٧) الرفيق

قال: الرفيق في أفعاله وشرعه، ومن تأمل ما احتوى عليه شرعه من الرفق وشَرْعِ الأحكام شيئًا بعد شيء، وجريانها على وجه السداد واليسر ومناسبة العباد، وما في خلقه من الحكمة إذ خلق الخلق أطوارًا، ونقلهم من حالة إلى أخرى بحِكَم وأسرار لا تحيط بها العقول[2].

وهو تعالى يحب من عباده أهل الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وييسر مَنْ جرى على ما يحبه أمورَه كلها.

والرفق من العبد لا ينافي الحزم، فيكون رفيقًا في أموره متأنيًا، ومع ذلك لا يفوِّت الفرص إذا سنحت، ولا يهملها إذا عَرَضَتْ[3].

وقال في شرح قول الإمام ابن القيم:

وهو الرفيق يحب أهل الرفق بل ... يعطيهم بالرفق فوق أماني

قال: هذا أخذه من قوله ﷺ في الحديث الصحيح: «إن الله رفيق يحب أهل الرفق، وإن الله يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف»[4].

---

(١) انظر «الحق الواضح» (ص ٨٩).

(٢) لم يذكر جواب: «ومن تأمل...» إلخ، وجوابه: «شاهد العجب العجيب»، أو نحوه من الكلام، كما سيأتي.

(٣) «توضيح الكافية الشافية» (ص ٣٨٣).

(٤) أخرجه مسلم (٢٥٩٣) وغيره، ولفظه: عن عائشة زوج النبي ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّـهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ».

فالله تعالى رفيق في أفعاله، خلق المخلوقات كلها بالتدريج شيئًا فشيئًا بحسب حكمته ورفقه، مع أنه قادر على خلقها دفعة واحدة وفي لحظة واحدة.

ومن تدبر المخلوقات وتدبر الشرائع كيف يأتي بها شيئًا بعد شيء شاهد من ذلك العجب العجيب.

فالمتأني الذي يأتي الأمور برفق وسكينة ووقار اتباعًا لسنن الله في الكون واتباعًا لنبيه ﷺ ـ فإن هذا هديه وطريقه ـ تتيسر له الأمور، وبالأخص الذي يحتاج إلى أمر الناس ونهيهم وإرشادهم، فإنه مضطر إلى الرفق واللين.

وكذلك من آذاه الخلق بالأقوال البشعة، وصان لسانه عن مشاتمتهم، ودافع عن نفسه برفق ولين، اندفع عنه من أذاهم ما لا يندفع بمقابلتهم بمثل مقالهم وفعالهم، ومع ذلك فقد كسب الراحة والطمأنينة والرزانة والحلم(١).

(٧٨) الجميل

قال: «الجميل» بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، فلا يمكن مخلوقًا أن يعبر عن بعض جمال ذاته، حتى إن أهل الجنة مع ما هم فيه من النعيم المقيم، واللذات والسرور، والأفراح التي لا يقدر قدرها، إذا رأوا ربهم وتمتعوا بجماله نسوا ما هم فيه من النعيم، وتلاشى ما هم فيه من الأفراح، وودّوا أن لو تدوم هذه الحال ليكتسبوا من جماله ونوره جمالًا إلى جمالهم، وكانت قلوبهم في شوق دائم ونزوع إلى رؤية ربهم، ويفرحون بيوم المزيد فرحًا تكاد تطير له القلوب.

---

(١) «الحق الواضح» (ص ٦٣-٦٤).

وكذلك هو جميل في أسمائه، فإنها كلها حسنى، بل أحسن الأسماء على الإطلاق وأجملها، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وقال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥].

فكلها دالة على غاية الحمد والمجد والكمال، لا يسمى باسم منقسم إلى كمال وغيره.

وكذلك هو الجميل في أوصافه، فإن أوصافه كلها أوصاف كمال ونعوت ثناء وحمد، فهي أوسع الصفات، وأعمّها، وأكثرها تعلقًا، خصوصًا أوصاف الرحمة، والبر، والكرم، والجود.

وكذلك أفعاله كلها جميلة، فإنها دائرة بين أفعال البر والإحسان التي يحمد عليها ويثنى عليه ويشكر، وبين أفعال العدل التي يحمد عليها لموافقتها للحكمة والحمد، فليس في أفعاله عبث ولا سفه ولا سدى ولا ظلم، كلها خير وهدى ورحمة ورشد وعدل، ﴿إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٦].

فلكماله الذي لا يحصي أحد عليه به ثناء كملت أفعاله كلها، فصارت أحكامه من أحسن الأحكام، وصنعه وخلقه أحسن خلق وصنع، أتقن ما صنعه: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٨٨]، وأحسن ما خلقه: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [السجدة: ٧]، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

ثم استدل المصنف[1] بدليل عقلي على جمال الباري، وأن الأكوان محتوية

(١) يعني: الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى، وذلك في «قصيدته النونية».

على أصناف الجمال، وجمالها من الله تعالى، فهو الذي كساها الجمال وأعطاها الحسن، فهو أولى منها، لأن معطي الجمال أحق بالجمال، فكل جمال في الدنيا والآخرة، باطني وظاهري، خصوصًا ما يعطيه المولى لأهل الجنة من الجمال المفرط في رجالهم ونسائهم، فلو بدا كف واحدة من الحور العين إلى الدنيا لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم، أليس الذي كساهم ذلك الجمال ومنَّ عليهم بذلك الحسن والكمال أحق منهم بالجمال الذي ليس كمثله شيء؟!

فهذا دليل عقلي واضح مُسَلَّم المقدِّمات على هذه المسألة العظيمة وعلى غيرها من صفاته، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[النحل: ٦٠].

فكل ما وجد في المخلوقات من كمال لا يستلزم نقصًا فإن معطيه ـ وهو الله ـ أحق به من المعطَى بما لا نسبة بينه وبينهم كما لا نسبة لذواتهم إلى ذاته وصفاتهم إلى صفاته، فالذي أعطاهم السمع والبصر والحياة والعلم والقدرة والجمال أحق منهم بـذلك.

وكيف يعبِّر أحد عن جماله وقد قال أعلم الخلق به: «لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»[1].

وقال ﷺ: «حِجَابُهُ النُّورُ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»[2].

---

(١) بعض حديث، أخرجه مسلم (٤٨٦) وغيره.

(٢) بعض حديث، أخرجه مسلم (١٧٩) وغيره.

فسبحان الله وتقدّس عما يقوله الظالمون النافون لكماله علوًّا كبيرًا! وحسبهم مقتًا وخسارًا أنهم حُرِموا من الوصول إلى معرفته والابتهاج بمحبته[1].

(٧٩) الجواد

قال: الجواد المطلق، الذي عم بجوده جميع الكائنات، وملأها من فضله وكرمه ونعمه المتنوعة، وخص بجوده السائلين بلسان المقال أو لسان الحال من بَرٍّ وفاجر، ومسلم وكافر، فمن سأل الله أعطاه سؤله وأناله ما طلب، فإنه البَرُّ الرحيم: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴾ [النحل: ٥٣].

ومن جوده الواسع: ما أعدّه لأوليائه في دار النعيم، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر[2].

وقال: ومن أسمائه الحسنى: «الجواد . الكريم . الوهاب»: الذي عم بجوده أهل السماء والأرض، فما بالعباد من نعمة فمنه، وهو الذي إذا مسهم الضر فإليه يرجعون، وبه يتضرعون، فلا يخلو مخلوق من إحسانه طرفة عين، ولكن يتفاوت العباد في إفاضة الجود عليهم بحسب ما منَّ الله به عليهم من الأسباب المقتضية لجوده وكرمه، وأعظمها تكميل عبودية الله الظاهرة والباطنة، العلمية والعملية، القولية والفعلية والمالية، وتحقيقها باتباع محمد ﷺ

---

(١) «الحق الواضح» (ص ٢٩-٣٢).

(٢) «الحق الواضح» (ص ٦٦-٦٧).

في الحركات والسكنات[1].

(٨٠) (٨١) الحيي . الستير

قال في شرح أبيات الإمام ابن القيم:

وهو الحيي فليس يفضح عبده	عند التجاهر منه بالعصيانِ
لكنه يلقي عليه ستره	فهو السِّتِّير وصاحب الغفرانِ

قال: هذا مأخوذ من قوله ﷺ:

«إن الله حَيِيٌّ يستحي من عبده إذا مد يده إليه أن يردها صِفْرًا»[2].

وهذا من رحمته وكرمه وكماله وحلمه أن العبد يجاهر بالمعاصي مع فقره الشديد إليه، حتى إنه لا يمكنه أن يعصي- إلا أن يتقوى عليها بنعم ربه، والرب مع كمال غناه عن الخلق كلهم من كرمه يستحي من هتكه وفضيحته وإحلال العقوبة به، فيستره بما يفيض له من أسباب الستر، ويعفو عنه، ويغفر له.

فهو يتحبب إلى عباده بالنعم وهم يتبغضون إليه بالمعاصي، خيره إليهم بعدد اللحظات، وشرهم إليه صاعد، ولا يزال المَلَك الكريم يصعد إليه منهم بالمعاصي وكل قبيح!

---

(١) «توضيح الكافية الشافية» (ص ٣٨٤).

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٨٨) وغيره، ولفظه: عن سلمان قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ رَبَّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَيِيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا». وصححه الألباني.

ويستحي تعالى ممن شاب في الإسلام أن يعذبه[1]، وممن يمد يديه إليه أن يردهما صِفْرًا[2]، ويدعو عباده إلى دعائه، ويعدهم بالإجابة.

وهو «الحيي . الستير» يحب أهل الحياء والستر، ومن ستر مسلمًا ستر الله عليه في الدنيا والآخرة، ولهذا يكره من عبده إذا فعل معصية أن يذيعها، بل يتوب إليه فيما بينه وبينه ولا يظهرها للناس، وإنَّ مِنْ أمقت الناس إليه من بات عاصيًا والله يستره فيصبح يكشف ستر الله عليه.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [النور: ١٩][3].

(٨٢) الحكم

قال: ومن أسمائه «الحَكَم . العدل»: الذي إليه الحكم في كل شيء، فيحكم تعالى بشرعه، ويبين لعباده جميع الطرق التي يحكم بها بين المتخاصمين، ويفصل بين المتنازعين، من الطرق العادلة الحكيمة، ويحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، ويحكم فيها بأحكام القضاء والقدر، فيُجري عليهم منها ما تقتضيه حكمته، ويضع الأشياء مواضعها وينزلها منازلها، ويقضي بينهم يوم الجزاء والحساب، فيقضي بينهم بالحق، ويحمده الخلائق على حكمه، حتى مَنْ

(١) لم يصح في هذا المعنى شيء عن النبي ﷺ، انظر - إن شئت - «الموضوعات» (١/ ١٧٧-١٧٨)، و«اللآلئ المصنوعة» (ص ١٣٣-١٣٧).

(٢) كما جاء في الحديث، وقد تقدم قبل قليل.

(٣) «الحق الواضح» (ص ٥٤-٥٥).

قضى عليهم بالعذاب يعترفون له بالعدل، وأنه لم يظلمهم مثقال ذرة[1].

(٨٣) النور

قال: فالنور وصفه العظيم، فأسماؤه حسنى، وصفاته أكمل الصفات، وأفعاله تعالى رحمة وحمد وحكمة، وهو نور السموات والأرض، وبنوره استنارت قلوب المؤمنين، وبنوره استنارت جنات النعيم، وحجابه نور لو كشفه لأحرقت سُبُحَات وجهه ما انتهى إليه بصرُه من خلقه[2].

والنور الذي هو وصفه من جملة نعوته العظيمة، وأما النور المخلوق فهو نوعان:

نور حِسِّي: كنور الشمس والقمر والكواكب وسائر المخلوقات المدرك نورها بالأبصار.

والثاني: **نور معنوي**، وهو نور المعرفة والإيمان والطاعة، فإن لها نورًا في قلوب المؤمنين بحسب ما قام في قلوبهم من حقائق المعرفة، ومواجيد الإيمان، وحلاوة الطاعة، وسرور المحبة.

وهذا النور هو الذي يمنع صاحبه من المعاصي ويجذبه إلى الخير ويدعوه إلى كمال الإخلاص لله، ولهذا كان من دعاء النبي ﷺ: «اللهم اجعل في قلبي نورًا، وفي سمعي نورًا، وفي بصري نورًا، ومن بين يدي نورًا، ومن خلفي نورًا،

---

(١) «توضيح الكافية الشافية» (ص ٣٨٦).

(٢) كما ثبت عن النبي ﷺ، وهو في «صحيح مسلم» (١٧٩) وغيره، وتقدم في شرح اسم «الجميل».

وفوقي نورًا، وتحتي نورًا، اللهم أعطني نورًا، وزدني نورًا»[1].

وهذا النور الذي يعطيه اللهُ عبدَه أعظم منّة مِنْهُ عليه، وهو أصل الخير.

وهذا النور مهما قوي فإنه مخلوق، فإياك أن تَضعف بصيرتُك ويَقِلَّ تمييزُك وعلمك فتظن هذا النورَ نورَ العِيان ومشاهدة القلب لنور الذات المقدسة، وإنما هو نور المعرفة والإيمان.

ويُبتلَى بهذا بعض الصوفية الذين ترد عليهم الواردات القوية، فيقع منهم من الشطح والخطل ما ينافي العلم والإيمان.

كما أن كثيف الطبع جافي القلب قد تراكمت عليه الظلمات وتوالت عليه الغفلات فلم يكن له من هذا النور حظ ولا نصيب، بل ربما ازدرى من سفاهة عقله وقلة وجده هذه الأحوال وزهد فيها.

فمتى منَّ الله على العبد بمعرفة صحيحة متلقاة من الكتاب والسنة، وتفقه في أسماء الله وصفاته، وتعبد لله بها، واجتهد أن يحقق مقام الإحسان؛ فيعبد الله كأنه يراه فإن لم يكن يراه فإنه يراه، ولهج بذكر الله تعالى، استنار قلبه، وحصل له من لذة المعرفة ومواجيد الإيمان أعظم اللذات، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم[2].

وقال: والمؤمن إذا كمل إيمانه أنار الله قلبه، فانكشفت له حقائق الأشياء، وحصل له فرقان يفرق به بين الحق والباطل، وصار هذا النور هو مادة حياة

(١) أخرجه البخاري (٦٣١٦)، ومسلم (٧٦٣)، وغيرهما، وليراجع لفظه.

(٢) «توضيح الكافية الشافية» (ص ٣٨٨-٣٨٩).

العبد وقوَّته على الخير علمًا وعملًا، وانكشفت عنه الشبهات القادحة في العلم اليقين، والشهوات الناشئة عن الغفلة والظلم، وكان قلبه نورًا، وكلامه نورًا، وعمله نورًا، والنور محيط به من جهاته.

والكافر أو المنافق أو المعارض أو المعرض الغافل كل هؤلاء يتخبطون في الظلمات، كلٌّ له من الظلمة بحسب ما معه من موادها وأسبابها، والله الموفق وحده[1].

انتهى كتاب «شرح الأسماء الحسنى» للعلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي رحمه الله تعالى.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وكتب

محمد شومان الرملي

٢٣/ ربيع ثاني/ ١٤٢٥

(١) «الحق الواضح» (ص ٩٤-٩٥).

ملحق

في تتمة شرح الأسماء الحسنى

(٨٤) المبين

قال الحَليمي[١]: «المبين»: هو الذي لا يخفى ولا ينكتم، والباري جل ثناؤه ليس بخاف ولا منكتم، لأن له من الأفعال الدالة عليه ما يستحيل معها أن يخفى فلا يوقف عليه ولا يُدْرَى.

وقال الخَطّابي[٢]: «المبين»: هو البيِّن أمرُه في الوحدانية، وأنه لا شريك له.

وقال الزجاجي[٣]: المُبَيِّن لعباده سبيلَ الرشاد، والموضِّح لهم الأعمال الموجبة لثوابه، والأعمال الموجبة لعقابه، والمُبَيِّن لهم ما يأتونه ويَذَرُونه.

(٨٥) القادر

قال الخطابي[٤]: «القادر»: هو من القدرة على الشيء، يقال: قَدَرَ يَقْدِرُ قُدْرَةً فهو قادر وقدير، كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢٧، والفتح: ٢١]، ووصف[٥] الله نفسه بأنه قادر على كل شيء أراده، لا يعترضه عجز ولا فتور.

---

(١) انظر «الأسماء والصفات» للبيهقي (١/ ٤٦).

(٢) «شأن الدعاء» (ص ١٠٢).

(٣) «اشتقاق الأسماء» (ص ١٨١).

(٤) «شأن الدعاء» (ص ٨٥-٨٦).

(٥) كذا في الأصل، والأقرب إلى السياق: «وصف» أو «فوصف».

قال: وقد يكون «القادر» بمعنى: الـمُقَدِّر للشيء، يقال: قَدَّرْتُ الشيءَ وقَدَرْتُه بمعنى واحد، كقوله: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾ [المرسلات: ٢٣]؛ نعم الـمُقَدِّرون.

وعلى هذا يُتأول قوله سبحانه: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء: ٨٧]؛ أي: لن نُقَدِّر عليه الخطيئة أو العقوبة(١)، إذ لا يجوز على نبي الله أن يظن عدم قدرة الله عز وجل في حال من الأحوال.

(٨٦) المليك

قال الخطابي(٢): هو المالك، وبناء فعيل للمبالغة في الوصف، وقد يكون «المليك» بمعنى الـمَلِك، كقوله عز وجل: ﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٥].

(٨٧) المقتدر

قال الزجاج(٣): «المقتدر»: مبالغة في الوصف بالقدرة، والأصل في العربية أن زيادة اللفظ زيادة المعنى، فلما قلت: «اقتدر» أفاد زيادة اللفظ زيادة المعنى.

وقال الخطابي(٤): «المقتدر»: هو التام القدرة، الذي لا يمتنع عليه شيء

(١) أو أن المعنى: ﴿لن نَقْدِرَ عليه﴾؛ أي: لن نُضَيِّق عليه، «قَدَرَ» بمعنى: «ضَيَّقَ»، ومنه قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الرعد: ٢٦]؛ أي: ويُضَيِّق.

(٢) «شأن الدعاء» (ص ١٠٣).

(٣) «تفسير الأسماء» (ص ٥٩).

(٤) «شأن الدعاء» (ص ١٨٦).

ولا يحتجز عنه بمَنَعَة ولا قوة، ووزنه مفتعل من القدرة، إلا أن الاقتدار أبلغ وأعم لأنه يقتضي الإطلاق، والقدرة قد يدخلها نوع من التضمين بالمقدور عليه، قال الله سبحانه: ﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٥]؛ أي: قادر على ما يشاء.

(٨٨) المتين

قال الزجاج[١]: أصله فعيل من الـمَتْن الذي هو العُضو، ويقال: ماتَنْتُه على ذلك الأمر، إذا قاويتَه مُقاواةً، وهو يفيد في الله سبحانه: التناهي في القوة والقدرة.

وقال الغزالي[٢]: القوة تدل على القدرة التامة، والمتانة تدل على شدة القوة، فالله تعالى من حيث أنه بالغ القدرة تامها: «قوي»، ومن حيث أنه شديد القوة: «متين»، وذلك يرجع إلى معاني القدرة.

(٨٩) الكريم

«الكريم»: الذي له الشرف العظيم، والقدر الكبير، في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، فوصفُه سبحانه بأنه الكريم بمعنى وصفه بجميع المحامد ونفي النقائص عنه، قال الله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، وقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[الشورى: ١١].

(١) «تفسير الأسماء» (ص ٥٥).

(٢) «المقصد الأسنى» (ص٩٩-١٠٠).

و«الكريم»: الجواد الكثير الخير، فما من خير في الدنيا والآخرة إلا وهو منه سبحانه، وكَرَمُ كُلِّ كريم فمن كَرَمِه عز وجل، فهو الذي أولى النعم وأسدى المنن، ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾[النحل: ٥٣]، ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾[إبراهيم: ٣٤، والنحل: ١٨].

و«الكريم»: الصفوح، الذي يصفح عن الزلات، ويعفو عن السيئات، ويغفر الذنوب، ويستر العيوب، يعطي مَنْ سأله، ولا يخيِّب مَنْ أمّله.

فالكريم: الذي له الشرف العظيم، والجود العميم، وكل ما جاء في معنى الكرم فللَّه سبحانه وتعالى منه أعلاه.

(٩٠) الرؤوف

قال الغزالي[1]: «الرؤوف»: ذو الرأفة، والرأفة شدة الرحمة، فهو بمعنى الرحيم مع المبالغة.

وقال ابن جرير[2]: الرأفة أعلى معاني الرحمة.

وقال القرطبي[3]: إن الرأفة نعمة مُلِذَّة من جميع الوجوه، والرحمة قد تكون مؤلمة في الحال ويكون في عقباها لذة، ولذلك قال: ﴿ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ ﴾ [النور: ٢]، ولم يقل: رحمة، فإنّ ضَرْب العصاة على عصيانهم رحمة لهم لا

(١) «المقصد الأسنى» (ص ١١٠).

(٢) «جامع البيان» (٢/ ٢١- البقرة: ١٤٣).

(٣) «الأسنى» (١/ ١٧٣-١٧٤).

رأفة، فإن صفة الرأفة إذا انسدلت على مخلوق لم يلحقه مكروه، فلذلك تقول لمن أصابه بلاء في الدنيا وفي ضمنه خير في الأخرى: إن الله قد رحمه بهذا البلاء. وتقول لمن أصابه عافية في الدنيا في ضمنها خير في الأخرى واتصلت له العافية أولًا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا: إن الله قد رأف به.

قال: قال الأُقليشي: فتأمل هذه التفرقة بين الرأفة والرحمة، ولذلك جاءا معًا، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣]، وعلى هذا: الرأفة أعم من الرحمة، فمتى أراد الله بعبد رحمة أنعم عليه بها، إلا أنها قد تكون عَقِيبَ بلاء، وقد لا تكون، والرأفة بخلاف ذلك[١].

(٩١) المنان

«المنان»: قال الحَليمي: وهو العظيم المواهب، فإنه أعطى الحياة والعقل والمنطق، وصَوَّر فأحسن الصُّوَر، وأنعم فأجزل وأسنى النعم[٢]، وأكثر العطايا والمنح، قال وقوله الحق: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤، والنحل: ١٨].

و«المنان» من أبنية المبالغة[٣].

وقال القرطبي: مَنَّ يَمُنُّ منًّا فهو «المنان»، والاسم: المِنَّة، واشتقاقه في

---

(١) هذا وجه، وقد يقال: الرأفة أخص من الرحمة، فمن حيث ما تقع عليه فإنها أخص من الرحمة، وأيضًا من حيث ما تكون معه فإنها أخص، أعني: أن الرحمة تكون مع المحبوب ومع المكروه، والرأفة لا تكون إلا مع الخير المحض، والله أعلم.

(٢) أي: يسّرها وسهّلها وفتحها لعباده.

(٣) «النهاية».

موضوع اللسان من الـمَنّ الذي هو العطاء دون طلب عوض.

قال: ويكون أيضًا مشتقًّا من المِنَّة، التي هي التفاخر بالعطية على المـُعْطَى وتعديد ما صنعه.

والمعنيان في حق الله تعالى صحيحان.

ويتصف أيضًا بهما الإنسان، لكن يتصف بالمعنى الواحد على طريق المدح، وبالمعنى الثاني على طريق الذم(١).

(٩٢) السبوح

قال أبو إسحق الزجاج(٢): «السُّبُّوح»: الذي يتنزه عن كل سوء.

وقال الحَليمي: إنه المنزه عن المعائب والصفات التي تعتور الـمُحْدَثِين من ناحية الحدوث، والتسبيح: التنزيه(٣).

وقال النووي(٤): قال ابن فارس والزَّبيدي وغيرهما: «سُبُّوح» هو الله عز وجل، فالمراد بـ «السُّبُّوح . القُدُّوس»: الـمُسَبَّح الـمُقَدَّس، فكأنه قال: مُسَبَّحٌ مُقَدَّسٌ ربُّ الملائكة والروح. ومعنى «سُبُّوح»: الـمُبَرَّأ من النقائص والشريك وكل ما لا يليق بالإلهية، و«قدوس»: المطهر من كل ما لا يليق بالخالق.

---

(١) «الأسنى» (١/ ٢٥٨-٢٥٩).

(٢) انظر «اللسان» (سبح).

(٣) انظر «الأسماء» للبيهقي (١/ ١٠٤).

(٤) «شرح مسلم» (٤/ ٢٠٤-٢٠٥)، وذلك في شرح حديث عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ كان يقول في ركوعه وسجوده: «سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ». أخرجه مسلم (٤٨٧) وغيره.

(٩٣) السيد

«السَّيِّد»: أي الذي له حقيقة السيادة والشرف، لما اتصف به من سعة الأوصاف وكمالها، التي هي صفات الألوهية، فهو الرب العظيم والإله الكريم والملك الكبير، والخلق كلهم أجمعون محتاجون إليه تعالى في جميع شؤونهم، فهو سيدهم ومالكهم ومولاهم، وهو على كل شيء قدير.

قال الحَليمي[1]: ومعناه: المحتاج إليه بالإطلاق، فإن سيد الناس إنما هو رأسهم الذي إليه يرجعون، وبأمره يعملون، وعن رأيه يصدرون، ومن قوله يستهدون.

فإذا كانت الملائكة والإنس والجن خلقًا للباري جل ثناؤه، ولم يكن بهم غنية عنه في بدء أمرهم وهو الوجود، إذ لو لم يوجِدهم لم يوجَدوا، ولا في الإبقاء بعد الإيجاد، ولا في العوارض العارضة أثناء البقاء، كان حقًّا له جل ثناؤه أن يكون سيدًا، وكان حقًّا عليهم أن يدعوه بهذا الاسم.

(٩٤) الطيب

«الطَّيِّب»: قال النووي[2]: قال القاضي: «الطَّيِّب» في صفة الله تعالى بمعنى المنزه عن النقائص، وهو بمعنى القدوس، وأصل الطِّيب: الزكاة والطهارة والسلامة من الخَبَث.

(١) انظر «الأسماء» للبيهقي (١/ ٦٩).

(٢) «شرح مسلم» (٧/ ١٠٠).

(٩٥) الطبيب

«الطبيب»: قال الحَليمي[١]: هو العالم بحقيقة الداء والدواء، والقادر على الصحة والشفاء، وليس بهذه الصفة إلا الخالق البارئ المصور، فلا ينبغي أن يسمى بهذا الاسم أحد سواه.

(٩٦) الشافي

«الشافي»: هو الذي يشفي القلوب من أمراضها، والصدور من ضيقها، والأبدان من عللها، فهو الذي يرفع عن خلقه ما يؤذي أو يؤلم قلوبهم وأبدانهم، ويعافيهم من البلايا، ويطهرهم من الأسقام، ويغسلهم من خطاياهم، فلا شافي على الإطلاق إلا الله وحده، فهو الذي يهدي عباده لأسباب الشفاء، ويوقعهم على ما يرفع الداء، ثم يشفيهم بإذنه تعالى.

(٩٧) المحسن

«المحسن»: الذي أحسن شرعَه فجعله قائمًا على الحكمة والرحمة والإحسان والفضل، وأحسن الثواب والجزاء فلم يخرج عن الفضل والعدل.

و«المحسن»: الذي أحسن كل شيء خلقه، فجعله على أصلح صورة وأوفق بناء.

و«المحسن»: الذي غمر خلقه جميعًا بإحسانه وفضله وجوده، فما بهم من

---

(١) انظر «الأسماء» للبيهقي (١/ ٢١٧).

نعمة فمنه وحده لا شريك له.

(٩٨) الديان

«الدَّيّان»: هو المجازي، والحاكم، والقهار.

قال الخطابي[١]: «الدَّيّان»: هو المجازي، والدِّين: الجزاء، ومنه المَثَل: «كما تدين تدان». و«الدَّيّان» أيضًا: الحاكم، ويقال: «مَنْ دَيّانُ أرضكم؟»؛ أي: مَنْ الحاكم بها؟ وقال أعشى بني مازن لرسول الله ﷺ حين قدم عليه:

يا سيد الناس ودَيّان العرب[٢]

وقال ابن الأثير في «النهاية»: قيل: هو القَهَّارُ. وقيل: هو الحاكمُ والقاضي. وهو فعَّالٌ من دانَ الناسَ؛ أي: قَهَرَهم على الطاعة، يقال: دِنْتُهم فدانوا؛ أي: قَهَرْتُهم فأطاعُوا.

(٩٩) الأعز

«الأَعَزّ»: هو العزيز الذي لا أعز منه، وليس كمثله شيء، ومعاني العزة كلها ثابتة لله سبحانه على أكمل وجوه العظمة وأعلاها.

وقد تقدم ذلك في تفسير اسم «العزيز».

---

(١) «شأن الدعاء» (ص ١٠٥-١٠٦).

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في «زوائد المسند» (٢/ ٢٠٢) وغيره، وانظر «مجمع الزوائد» (٤/ ٣٣١-٣٣٢).

(١٠٠) المسعر[١]

«الـمُسَعِّر»: على وزن اسم الفاعل من التسعير؛ أي: الذي يرخِّص الأشياء ويُغْلِيها[٢].

وقد أغلى سبحانه الجنة دار النعيم المقيم والفوز الكبير فلم يرض لها ثمنًا دون الإيمان والأعمال الصالحة، وحرّمها على كل مشرك، وجاء في الحديث: «أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّـهِ غَالِيَةٌ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّـهِ الْجَنَّةُ»[٣].

وإن شئت قل: أغلى سبحانه أنفُسَ المؤمنين وأموالهم فاشتراها بأنفس ثمن وأغلاه، ألا وهو الجنة الفيحاء وما فيها مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، كما قال عز وجل:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

قال ابن القيم[٤]: فجعل سبحانه ـ ههنا ـ الجنة ثمنًا لنفوس المؤمنين

---

(١) قال شيخ الإسلام (درء التعارض – ٣/ ٣٣٢): «والصواب الذي عليه جمهور العلماء أن قول النبي ﷺ: «إِنَّ لِلَّـهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»؛ معناه: أن مَنْ أحصى التسعة والتسعين من أسمائه دخل الجنة، ليس مراده أنه ليس له إلا تسعة وتسعون اسمًا».

(٢) انظر «النهاية» لابن الأثير، و«عون المعبود شرح سنن أبي داود».

(٣) بعض حديث، أخرجه الترمذي (٢٤٥٠) وغيره، وصححه الألباني.

(٤) «حادي الأرواح» (ص ١٠٩).

وأموالهم، بحيث إذا بذلوها فيه استحقوا الثمن، وعَقَدَ معهم هذا العَقْدَ وأكّده بأنواع من التأكيد:

أحدها: إخبارهم سبحانه وتعالى بصيغة الخبر المؤكد بأداة «إنّ».

الثاني: الإخبار بذلك بصيغة الماضي الذي قد وقع وثبت واستقر.

الثالث: إضافة هذا العقد إلى نفسه سبحانه وأنه هو الذي اشترى هذا الـمَبِيع.

الرابع: أنه أخبر بأنه وعد بتسليم هذا الثمن وعدًا لا يخلفه ولا يتركه.

الخامس: أنه أتى بصيغة «على» التي للوجوب إعلامًا لعباده بأن ذلك حقٌّ عليه أحقَّه هو على نفسه.

السادس: أنه أكد ذلك بكونه حقًّا عليه.

السابع: أنه أخبر عن محل هذا الوعد، وأنه في أفضل كتبه المنزلة من السماء، وهي التوراة والإنجيل والقرآن.

الثامن: إعلامه لعباده بصيغة استفهام الإنكار، وأنه لا أحد أوفى بعهده منه سبحانه.

التاسع: أنه سبحانه وتعالى أمرهم أن يستبشروا بهذا العقد ويبشر به بعضهم بعضًا بِشارة مَنْ قد تَمَّ له العقد ولزم بحيث لا يثبت فيه خِيار ولا يَعْرِض له ما يَفْسَخه.

العاشر: أنه أخبرهم إخبارًا مؤكدًا بأن ذلك البيع الذي بايعوه به هو

الفوز العظيم، والبيع - ههنا - بمعنى الـمَبِيع الذي أخذوه بهذا الثمن، وهو الجنة، وقوله: ﴿**بايعتم به**﴾؛ أي: عاوضتم وثامنتم به. اهـ.

تم الكتاب.

وصلَّى الله على محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلَّم.

١٠/ ربيع الأول/ ١٤٢٦هـ.

الفهرس

فهرس الأسماء هجائيًّا

فهرس الموضوعات